روايات احلام

أرجوك لا تعتذر

www.liilas.com/vb3
Love_shades

روايات احلام

أرجوك لا تعتذر

لماذا تشعر كارولين أن خطواتها تقودها إلى فخ؟... لقد كانت مسرورة لحصولها على وظيفة مربية لفتاة مرهقة، فلماذا هذا الشعور المشؤوم بالخطر وبأنها ستسقط في بئر عميقة لا قرار لها؟

وأتاها الجواب سريعاً عندما عرفت رب عملها والد تلميذتها، جايمس بوث... الرجل الذي غرّر بعواطفها منذ ست سنوات ودمّر حياتها...

هل منحتها سنوات البعد الطويلة مناعة ضده؟ لا... فقد أدركت كارولين أن جاذبيته زادت، وأن غدره بها لم يقضِ على جذوة الحب في داخلها...

فإلى متى تستطيع تحمل ألم العيش تحت سقف واحد معه... ومع زوجته، دون أن تخونها مشاعرها؟

www.liilas.com/vb3
Love Shades

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٠ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ حزن تحت الرماد

كانت درجة حرارة البحيرة حوالى ثمانٍ كما يريدها تماماً. سبح فترة بسرعة ثم خرج من البحيرة والماء يقطر منه على الأرض القرميدية المزخرفة حوله. كانت الريح أثناء الليل قد قذفت بعض أوراق الشجر على وجه الماء، ولكنه يفضِّل ذلك على مياه حوض السباحة النظيف القاع داخل المنزل، والواقع أن ديبوراه تفضل السباحة في المسبح. . أخذ يجفف جسمه بالمنشفة ثم ارتدى معطف الحمام الأزرق القاتم.

كان حزام من أشجار الصفصاف والسرو يحمي البحيرة من الأعين المتلصصة، وخلف ذلك كله كانت جدران عالية تحيط بالأراضي مؤمّنة عزلة تامة. وعلى كل حال، ففي مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح لم يكن هناك أحد في الخارج، فسار عائداً إلى المنزل وهو غارق في تفكير عميق.

استحم في حمامه المترف ذي اللونين الذهبي والبني، ثم ارتدى بذلته البنية التي يرتديها عادة عند ذهابه إلى المكتب. وكان يربط شريط حذائيه عندما سمع طرقاً على باب غرفة نومه.

ـ نعم؟

جاء جوابه فظاً بشكل لا داعي له، ولكن ملامحه لانت عندما دخلت الغرفة فتاة في حوالى السادسة عشرة من العمر. كانت سمراء نحيلة الجسم مثله، ولكنها لا تماثله طولاً، وكانت القرابة بينهما واضحة.

هتفت بمودة وهي تدخل الغرفة وتغلق الباب خلفها ثم تستند إليه: «أبي، أريد أن أتحدث إليك. أرجوك لا تدع أمي تفعل هذا!»

ـ لورا. . سبق أن تحدثنا في كل هذا.

ـ أعرف، أعرف. ولكن بإمكانك أن تجعلها تغير رأيها، أنا أعلم أن بإمكانك ذلك.

اتجه أبوها نحوها وقد بان الحنان على ملامحه، ولكنه حنان امتزج بالحزم.

قال برقة: «الحقيقة هي أنني لا أريد أن أغيّر رأي أمك. لورا، إنك أصغر سناً من أن..».

قاطعته الفتاة وشفتاها ترتجفان: «آه.. القول المعتاد ذاته.. إنك غير متفهم يا أبي!»

ـ لا أدري كم من الآباء يسمعون هذا الكلام من أبنائهم.

ـ حسناً، ولكنها الحقيقة، فأنت لا تفهم. لا تعرف ما يعنيه الوقوع في الحب..

توترت شفتا الأب وهو يقول بهدوء: «لا أعرف ذلك ولكنني تزوجت أمك وأنجبناك».

قالت لورا التي التهبت عيناها: «ولكنك لم تحبها قط. أليس كذلك؟ أعلم أنك لم تحبها. كنتما فقط من نفس الطبقة الاجتماعية وقد وجدتما نفسيكما متلائمين في ذلك الوقت».

ـ هذا يكفي يا لورا.

ـ كلا، لا يكفي. فلو أحببت يوماً ولو كان حبك حقيقياً لكانت لديك فكرة صغيرة عن طبيعة شعوري.

أجاب باختصار وهو يشيح عنها بوجهه.. فقد ثارت في أعماقه مشاعر طال كبتها: «صدقيني يا لورا أنني أعلم طبيعة شعورك، ولكن ضيق وقتي لا يسمح لي بمجادلتك. لدي اجتماع في الساعة العاشرة و...».

ـ اجتماعات، اجتماعات. هذا كل ما تفكر فيه، أليس كذلك؟ عمل، عمل، عمل! أنت لا تهتم بي أكثر مما تهتم بي أمي، فلست بنظركما أكثر من دمية تحركانها في الاتجاه الذي تريدانه.

ارتدّ بواجهها مرة أخرى فهمدت قليلاً إزاء برودة نظراته إليها.

قال: «لورا، لقد أُقفل الموضوع، هل تفهمين؟»

قالت بإصرار وهي ترتجف: «سيضحك مني أصدقائي عندما يرون أن لدي مربية في سنّي هذا».

ـ لا أفهم السبب في هذا، فقد كنت مريضة. بإمكانك أن تخبريهم بأن الطبيب أوصى بعدم ذهابك إلى «بوسكومب» حالياً.. وعلى كل حال، تعلمين أنك غير ملازمة البيت.

ـ ولكن هذا قد يحدث، لأن جميع أصدقائي راحلون.

ـ لن يغيبوا إلا فترة محددة فقط، كما أنك في السادسة عشرة وهذا يجعلك أكبر سناً من أن تحتاجي إلى أن يكون حولك مجموعة من الأصدقاء.

ـ ولكنني لست كبيرة إلى الحد المسموح لي به في أن يكون لدي حبيب.

ـ ليس ذلك الحبيب بالذات.. على أي حال.

ـ ولماذا لا؟ لأن جون يكبرني بعشر سنوات ويعمل بيديه لكي يعيش، هذا هو السبب. الواقع أن أمي لا تهتم بذلك، وأنت تعلم هذا. إنها غيور فقط..

ـ أسكتي يا لورا. يجب ألا نطيل الحديث في هذا الموضوع، هل سمعت؟ أرى أن تذهبي وترتدي ثيابك وتحاولي أن تتصرفي بنضج كما تدعين.

ـ ولكن يا أبي..

حاولت أن تتوسل إليه للمرة الأخيرة، ولكن نظرة واحدة منها إلى وجهه المتجهم أقنعتها بأنها تضيع وقتها وأنها قد تخسر الحليف الوحيد الذي يمكن أن تكسبه.

فيما بعد وفيما كان يتصفح الصحيفة ويتناول بذهن شارد طعام الإفطار في الغرفة الصباحية المغمورة بأشعة الشمس، سمع أزيز كرسي عجلات ديبوراه. يقع جناح زوجته في الطابق الأرضي ولم تكن ديبوراه تشاركه طعام الفطور إلا نادراً بل أنها نادراً ما تنهض من سريرها قبل خروجه. فوضع صحيفته جانباً ونهض واقفاً في الوقت الذي دخلت فيه الكرسي الكهربائي

الغرفة.

إذا كان لشخص ما أن يحسم من اعتباره الساقين المشلولتين المختبئتين على الدوام داخل بنطلون أو تنورة طويلة حتى الكاحل، فهو سيرى أن ديبوراه ما زالت امرأة رائعة الجمال رغم تقيدها بكرسي ذي عجلات، وذلك منذ ستة عشر عاماً. كانت في شبابها تعشق ركوب الخيل والصيد. وكان أن ذهبت رغم معارضة زوجها إلى النزهة على ظهر الحصان قبل موعد ولادتها لطفلتها بأسابيع، فكاد سقوطها عن ظهر الحصان يقتل طفلتها التي وُلدت قبل الأوان أما هي فأعاقتها السقطة طوال حياتها. في البداية، لامت زوجها لهذا الحادث فرفضت لأسابيع رؤيته أو رؤية طفلتهما، فهي لم تشأ قط أن تنجب أطفالاً وهكذا أقنعت نفسها بأن حملها كان السبب في عدم توازنها أثناء الركوب. ولكنها، فيما بعد على كل حال، أقرّت بأنها قد أصبحت بحاجة إلى زوجها الآن أكثر من أي وقت مضى. ولأنها امرأة لا تهتم بمشاعر أحد غير مشاعرها أصرّت على عدم البقاء في ضيعتهما. وبدلاً من ذلك انتقلا إلى منزل أقرب إلى لندن، منزل لا مكان فيه للخيل، ومع أن جايمس لم يكن مولعاً بتلك الحيوانات مثلها، فقد افتقد المناسبات التي كان يحب فيها التنزه على ظهور الخيل. مع ذلك كان قد أصبح أكثر قرباً من منطقة عمله، وباستثناء حاجة واحدة، فقد نجح تماماً في التعود على الحياة الانفرادية.

قال وهو يضع منشفة السفرة جانباً: «صباح الخير يا ديبوراه إنها مفاجأة غير متوقعة».

سألته دون مقدمات: في أي ساعة ستكون في المنزل هذا المساء يا جايمس؟».

فهز كتفيه مجيباً «لماذا تسألين؟ لدي موعداً لتناول العشاء مع توم ساوندرز، ولكنه ليس ضرورياً إذا كان لديك ترتيب آخر».

فقالت وهي تنظر إليه بإمعان: «فهمت، أريدك إذن أن تأتي إلى البيت لتناول العشاء، إن المربية ستصل هذا النهار كما تعلم وأحب أن تكون هنا لاستقبالها».

سكتت برهة وكأنها تقيّم وقع كلامها عليه ثم عادت تكمل قائلة: «قد يحدث مشاكل بيننا وبين لورا، وأفضل... مساندتك».

وافق قائلاً برصانة: «لا بأس سأكون في المنزل حولى السادسة».

عند ذلك ابتسمت وقد زال مظهر التوتر عنها: «هذا حسن. سيكون الأمر تجربة مشوّقة».

أزاح جايمس كمه لينظر إلى ساعته الذهبية في معصمه: «الساعة تجاوزت التاسعة وعليّ أن أذهب يا ديبوراه. سأراك هذا المساء».

ـ طبعاً.

أومأت ديبوراه برأسها فانحنى يقبل وجنتها دون أن يغفل عن إجفالها إزاء قبلته هذه. لم يكن مسموحاً له أن يلقي يداً عليها، فقد كان الأطباء أخبروه أن من الطبيعي أن يكون هذا شعورها في البداية، بسبب شللها، ولكن بدلاً من أن يخف لديها هذا الشعور على مرّ السنوات، يبدو أنه ازداد. ولم يكن هذا يعني اعتراضه على ذلك. وفي الواقع، كانت مشاعره نحو ديبوراه قد ماتت منذ أخبروه كيف جازفت بحياة طفلهما الذي لم يكن ولد بعد. ولكنه كان يشعر أيضاً أن ديبوراه وإن كانت تكره ملامسته لها، فستصاب بغيرة عنيفة إذا هو أظهر أي اهتمام بامرأة أخرى.

استغرق منه اجتياز الثلاثة وثلاثين ميلاً التي تفصله عن عمله قرب محطة إمبانكمنت، ما يقرب من خمسين دقيقة. كان للمبنى موقف سيارات خاص به، فترك سيارته «الجنسن» بين يدي الموظف المسؤول تشارلس القديرتين، قبل أن يستقل المصعد إلى «الروف» حيث دخل مكتب سكرتيرته بعد العاشرة تماماً، فمنحته السيدة سالي ابتسامتها المشرقة المعتادة تحييه: «صباح الخير، يا سيد جايمس. لقد استمر أبوك في الاتصال بك طوال ربع ساعة».

لم يبد الانزعاج على جايمس وهو يجتاز المكتب الخارجي إلى مكتبه الخاص بخطوات متراخية: «أحقاً؟ وما الذي يريده؟»

فأجابت بالرغم عنها: «لا أظنه مسروراً تماماً من الحسابات التي وصلته من درايبورن».

فأجاب جايمس بجفاء وهو يفتح باب مكتبه: «ولا أنا، امنحيني خمس دقائق ثم اتصلي به. آه، أهناك قهوة؟»

قالت السيدة سالي بلهجة غير عادية: «أظن أن أباك يريدك أن تذهب إلى مكتبه مباشرة».

فرفع حاجبه ساخراً: «إنني أعلم ذلك، يا سيدة سالي. ولكنها لن تكون المرة الأولى التي يكون على أبي فيها أن يؤجل الإنفجار».

كان المكتب واسعاً. وكانت النوافذ تحتل جدارين منه وأشعة الشمس تتسرب إليه من خلال شقوق ستائرها البلاستيكية، وكانت هناك مقاعد مريحة من الجلد، كما كانت الملفات والأوراق تغطي المكتب المكسو بالجلد. كان هذا مكتب أبيه في الوقت الذي كان جده فيه يدير مجموعة شركاتهم التي كانت باسم «صناعات بوث»، ولكنها اتسعت منذ ذلك الحين. ورغم أن أباه هو الذي يسيطر عليها الآن، إلا أنها لم تعد محصورة بالأسرة، وإنما أصبح لهم شركاء من حملة الأسهم.

عندما تلقى الاتصال من مكتب أبيه جاءه صوت أبيه روبرت بوث غاضباً للغاية: «أريدك في مكتبي هذا بظرف خمس دقائق».

هتف جايمس المعتاد على تقلب طباع والده:

ـ سأكون عندك بعد خمس دقائق.

سمع جايمس أباه يضع السماعة من ناحيته بعنف، فوضع هو سماعته بحماسة أقل. ربما كان عليه أن يخبر الرجل العجوز بالأمر عند عودته منذ أسبوع، ولكنه يعرف ما كان سيحدثه قوله الحقيقة. «فصناعات بوث» متورطة ولو بشكل غير مباشر، مع مؤسسة عملاقة لتهريب المخدرات، وهذا الخبر كفيل بالتسبب لأبيه بسكتة دماغية.

ولكن، لحسن الحظ، تقبل والده خبر درايبورن بأفضل مما توقعه.. كان من عادة روبرت في أي أمر يحدث أن يحوّل حديثهما إلى أمور شخصية، فسأله بطريقته الفظة: «حتام تتوقع ديبوراه من لورا أن تخضع إلى هذا النوع من المعاملة؟»

أجاب وهو يهز كتفيه: «لقد وافقتها أنا على ذلك في هذا الأمر. فلورا أصغر من أن يُسمح لها بالتورط مع عامل بناء إرلندي».

قال الأب موافقاً: «آه، أنا أوافقك الرأي أيضاً. فجون موني صديق غير مناسب لها.. ولكن ليست هذه هي النقطة، اليس كذلك؟ فاحتجاز الفتاة في البيت واحضار معلمة خاصة لها لن يحل أي مشكلة».

ـ اتريد منا أن نعيدها الى «بوسكومب»؟

ـ نعم، نعم، هذا ما أريده.

ـ وموني؟

ـ اعمل على نقله.

ـ أحقاً كيف؟

ـ إنه يعمل عند غارت يا رجل، اليس كذلك؟ أنت تعرف أندرو غارت. يمكنكما أن تتدبرا الأمر.

ـ نفضل أن نقوم بذلك على طريقتنا الخاصة.

ـ إذن فقد أحضرتما مربية، مربية لفتاة في سن لورا.

ـ وما الذي تريدنا أن ندعوها به إذن؟ معلمة؟ لا بأس، ادعها بهذا الاسم إذا كان ذلك يرضيك.

ـ ليس هذا ما أعنيه، وأنت تعلم ذلك يا جايمس. وإلى جانب ذلك، فلتلك تتجنب المربيات كما تتجنب الوباء.

تشنج جسم جايمس ومد ذراعه يريحها على ذراع مقعده:

ـ لا تقل أشياء تافهة.

قال الأب الذي جاء دوره ليسخر منه: أشياء تافهة؟ أحقاً؟ لم يكن هذا رأيك حينذاك.

ـ دع هذا الكلام.

ارتدّ الأب بكرسيه وهو يقول: «أتساءل عما حدث لها.. ولا أدري ما كان ليحدث لها إن لم ترحل؟»

وقف جايمس فجأة وقد فرغ صبره وتوجه إلى النافذة الواسعة المطلة على

سطوح منازل لندن، ثم قال:

ـ إنها تأملات لا ضرورة لها.

ـ ومع هذا، فأنا أتساءل عما كان سيحدث لو أن ديبوراه علمت بما كان يجري.

ـ ما كانت ديبوراه لتعلم بالأمر.

ـ ربما حدث هذا.

ـ لا، فقد اتخذت كافة الاحتياطات.

هزّ روبرت بوث رأسه: «أنت تحيّرني يا جايمس، تحيرني حقاً. ففي وضعك هذا..»

سكت لحظة ثم عاد يقول: «إن أية فتاة في المكتب، وتلك اللواتي تتعرف إليهن في المجتمعات.. ما هذا يا رجل، ألا تشعر قط بالرغبة؟...».

ـ وما علاقة هذا بحسابات درايبورن؟

قال الأب مشيراً بيديه نفياً: «لا شيء، لا شيء. آسف، ولكنك ابني يا جايمس وأمرك يهمني. وكذلك حياتك التي تعيشها، فهي غير طبيعية بالنسبة لرجل في سنك..».

قال جايمس وهو يسير نحو الباب بخطوات واسعة:

ـ آه، بحق الله عليك، أهذا كله بسبب إحضار مربية للورا؟

ـ من تكون هذه المربية؟ وما شكلها؟ هل رأيتها؟ هل تظنها رفيقة مناسبة لفتاة حساسة مثل لورا؟

ـ لا أعلم عنها شيئاً سوى أن لديها شهادة مثالية من مخدومها السابق. لورا بحاجة لتتعلم اللغتين الإنكليزية والفرنسية وكذلك التاريخ، وهذه المرأة قادرة على ذلك. وماذا أريد غير هذا؟ لا أظنني سأقابل تلك المرأة أكثر من مرتين أو نحو ذلك.

ـ أظن أن ديبوراه قد قابلتها.

ـ نعم.

ـ هل هي شابة؟

ـ وما يدريني؟ وما أهمية ذلك بحق الله، يا أبي. ما الذي تتوقعه مني؟ أن أنشىء علاقة عنيفة مع كل مربية تعترض طريقي؟

وضع يده على مقبض الباب وتردد قليلاً ثم عاد يقول: «إسمع، أعترف أنني ذات مرة... ولكنه كان شيئاً لم أستطع السيطرة عليه. الحمد لله أنها هي تمكنت من ذلك، ولكنها المرة الوحيدة التي...».

سحب نفساً عميقاً ثم أضاف: «أنت تتساءل عما كان سيحدث لو بقيت. لا أدري.. صدقني أنني لا أدري. سبق أن ألقيت على نفسي هذا السؤال. خلت أنني سأتوب إلى رشدي بعد فترة فأنهي الأمر».

عندما أصبح في مكتبه لم يستطع أن ينبذ من ذهنه الأشياء التي قالها أبوه، فقد أعاد توظيف مربية لابنته الذكريات الماضية إلى ذهنه. كان أبوه السبب غير المباشر في لقائه بالمرأة الوحيدة التي أحبها في حياته، باستثناء أمه. كانت تعمل في تعليم ولدي فورستر أثناء الإجازة الصيفية لإعدادهم للامتحانات. وكان آل فورستر أصدقاء لأبيه وقد اضطر جايمس للذهاب إلى هناك لعقد موعد معه. وهناك لم يستطع تجنب لقاء مربيتهم، وهذا لا يعني أنه حدث أي شيء بينهما في لقائهما الأول. فقد عرفت من هو بالتأكيد وعرفت أنه متزوج. كانت هادئة مهذبة معه، وما كان ليحدث بينهما أكثر من ذلك لولا سعيه هو إلى ذلك. لم يحدث قط أن واجه أمراً لا يستطيع السيطرة عليه أو رغب في امرأة لا يستطيع الحصول عليها. بقي فترة يفكر في طلب الطلاق من ديبوراه ولكنه علم أن ليس بإمكانه ذلك. فبجانب اعتمادها الكلي عليه، كانت هناك لورا ابنة العشر سنوات، كما علم أن ديبوراه لن توافق على تركه بإرادتها أبداً. وإن اختار الهجر، فلن يكون له الحق بعد ذلك في رؤية ابنته. ولكنه لم يستطع الابتعاد عن الفتاة التي تطورت علاقته بها رغم إرادتها تقريباً. عرف أنها انجذبت إليه واستغل سحره في إثارة مشاعرها. ثم جاءت تلك العطلة الأسبوعية المشؤومة حين أقنعها بمرافقته..

تنهد فجأة وجرّ إليه صينية المراسلات. فلن تساعده استعادة ذكريات

الماضي في إنجاز عمله، كما أنها لن تفيد أحداً. لم ينتج عن ذلك سوى أنها تركته، وحتى الآن لم يعرف إلا أنها تعلّم أطفالاً في إحدى المدارس المختلطة الكبرى. وكان هذا ما تصبو إليه.. في ذلك الصيف الذي تعرّف فيه إليها كانت في الثامنة عشرة تنتظر أن تبدأ سنتها الجامعية الأولى. ثمانية عشر عاماً؟ تجهمت ملامحه. كانت أكبر من لورا الآن بسنتين، وكم كان عمره هو؟ ثلاثين؟ واحداً وثلاثين، كان أكبر منها باثنتي عشرة سنة على الأقل، وها هو الآن يساند ديبوراه في رفضها لجون موني الذي هو في الخامسة والعشرين من عمره، فهي تقول إنه كبير بالنسبة إلى لورا. هز رأسه. هل هو منافق؟ أهو من الناس الذين يزدرون ويشجبون الآخرين لقيامهم بأعمال يتمنون هم القيام بها؟.. والأهم أن موني غير متزوج على الأقل أو أب.

ضغط على زر الاتصال الداخلي يحدّث سكرتيرته: «السيدة سالي؟ آه، نعم. هل لك أن تأتي من فضلك؟»

وترك جهاز الاتصال وحاول تركيز أفكاره على ما أمامه من رسائل، ولكن وجه فتاة كان يتراءى له على الورق: وجه بيضاوي، عينان خضراوان كبيرتان، شعر أشقر عسلي سبط كجدائل من الحرير. آه، يا إلهي! تملكه القنوط لأنه سمح لأبيه بالتحدث عنها. لقد كان قد نجح في إبعادها إلى عقله الباطن. وكون لورا ستحصل على معلمة عانس متوسطة في السن لتعلمها ما ينقصها من دورس، لا يستلزم منه استعادة ذكريات من الأفضل نسيانها.

***

LOVE_Shades
www.liilas.com/vb3

٢ ـ فخ المرايا

وقفت كارولين دوغلاس أمام محطة «ريدنغ» تتساءل عما قد تفعله إن لم تجد من يستقبلها كما كان الاتفاق. كان عليها أن تسأل عن العنوان. لكنها تعرف اسم مستخدمها واسم الفتاة التي ستعلمها، وتعرف أن الأجر أكثر من سخي، فما الذي تحتاج إلى معرفته أكثر من ذلك؟ ولعل السبب الذي جعلها لا تطرح المزيد من الأسئلة هو عدم توقعها الحصول على العمل، فمنذ اللحظة التي دخلت فيها إلى غرفة الانتظار المحاذية للجناح الفاخر في أحد أفخم فنادق لندن ورأت القائمة النهائية للمتقدمات، اقتنعت بأن حظها قليل. فالنساء الأخريات اللاتي كن ينتظرن المواجهة بدون جميعاً أكثر خبرة. أما مؤهلات كارولين القادمة حديثاً من مدرسة لإرسالية دينية في سيريلانكا فبدت غير جديرة بالاعتبار. لقد تملكها العجب لأنهم وافقوا أساساً على إجراء مقابلة معها. ولكن دورها حان أخيراً.. دخلت إلى الغرفة التي تجرى فيها المقابلة حيث كانت امرأة في سن غير محدّد، ربما في الأربعينات كما ظنت كارولين، واسمها السيدة فروبيشر، ألقت عليها كثيراً من الأسئلة الشخصية. وبدا أن المرأة مهتمة بخلفيتها أكثر من اهتمامها بخبرتها.

في نهاية المقابلة، عادت كارولين إلى غرفة الانتظار فجلست مع سائر النساء بانتظار النتيجة، وكم كان ذهولها بالغاً عندما برزت السيدة فروبيشر بعد دقائق لتعلن أن كارولين قد حصلت على الوظيفة. وفيما بعد فقط، تمكنت من التأمل في الأسباب التي جعلتهم يختارونها، فالفتاة التي ستعلمها في السادسة عشرة ولعل أهلها فضلوا اختيار مرافقة شابة لها.

ثار غضب تيم بطبيعة الحال ولكنها تتوقع ذلك.. لقد أمضت السنتين

الأخيرتين في سريلانكا، لذا من الطبيعي أن يعترض على رحيلها مرة أخرى. بعدما رأته يومياً لمدة عشرة أسابيع، أدركت أن عليها أن ترحل. نعم تيم يعجبها لأنه بالغ الظرف، ولكنها لم تكن تحبه ولن تحبه أبداً. لم تعرف كيف أدركت ذلك، ولكن هذا ما حدث. فهو الشخص الوحيد الذي مالت إليه حقاً، ومع ذلك لا تتصور نفسها تقضي العمر معه. بوجه عام، لم يكن لديها وقت للرجال. فالرجال أنانيون عدوانيون لا يحبون سوى أنفسهم، يريدون كل شيء دون أن يقدموا مقابل ذلك أي شيء من أنفسهم. ففي سنوات مراهقتها تعرضت لتجربة أليمة تعلمت منها الدرس جيداً.

راحت تنتظر خارج محطة قطار «ريدنغ»، وليس لديها معلومات أكثر من أن رجلاً اسمه غروم سيستقبلها ويحملها بسيارته إلى وجهتها، وهو سائق السيدة فروبيشر الخاص. لقد تأخر، نظرت إلى ساعتها التي تحيط بمعصمها النحيل. تأخر ربع ساعة بالضبط.

ـ آنسة دوغلاس؟

لم تنتبه إلى من يقترب منها بسبب استغراقها في أفكارها، فرفعت بصرها بدهشة إلى الشخص المرتدي البزة الرسمية الرمادية الواقف أمامها. أدركت أنه السائق، غروم. كان رجلاً معتدل الطول أشيب الشعر.

نظر إليها معتذراً، فأجابت كارولين ببرودة: «نعم».

لوى قسمات وجهه بشكل هزلي وهذا ما أشعرها بالعطف عليه: «الحمد لله لذلك. فقد كنت شبه خائف من أن يتعبك الانتظار فتذهبين للتنزه في مكان ما. لو فقدتك لقتلتني السيدة بوث».

«السيدة.. بوث؟».

تسمَّرت في أرضها قليلاً، ولكن ما لبث أن سري عنها. ربما السيدة بوث هي مدبرة المنزل!

نظر غروم إلى حقيبتي الثياب بجانبها وأجابها:

ـ نعم. أهذه كل أمتعتك يا آنسة؟

حملت كارولين الحقيبة الصغيرة المحتوية على حاجياتها الخاصة

وأومأت قائلة: «نعم، هذا كل شيء».

ـ إنها خلف الزاوية، يا آنسة.. أعني السيارة، هلاّ أتيت من هذه الناحية؟

اتسعت عينا كارولين ذهولاً عندما رأت سيارة المرسيدس السوداء المستطيلة التي تنتظرهما. كانت من نوع السيارات التي لم ترها إلا في الأفلام، وعندما جلست في المقعد الخلفي، شعرت بأنها من الأسرة المالكة. سرت فيها رجفة من الرهبة فعلى ما يبدو أن فروبيشر من ذوي الثراء الفاحش.

صعد غروم إلى مقعده خلف عجلة القيادة بعد أن وضع حقيبتيها في صندوق السيارة ثم سألها: «هل أنت مرتاحة؟» فابتسمت: «أنت تمزح بالتأكيد».

ـ نعم هي فسيحة، أليس كذلك؟ كما أنها رائعة عند السير أيضاً. إنما على الأتوستراد، فهذه الطرق ليست لها.

وافقته كارولين على ذلك عندما قاد بخبرة بالغة في الشارع الجانبي الضيق، وعندما توقفا أمام أول إشارة سير حمراء، تابع يقول:

ـ يجب أن أوضح سبب تأخري. السبب أن الآنسة لورا اختفت، فمنذ الثانية من بعد الظهر ونحن نبحث عنها ولكنني أظن تلك القردة الصغيرة في فينبورن.

شعرت كارولين بالانزعاج وسألته: «الآنسة لورا؟ أتعني الفتاة التي جئت لأعلّمها؟»

ـ نعم يا آنسة. ليس هناك سوى آنسة لورا واحدة.

ـ أمن عادتها الاختفاء بهذا الشكل؟

ـ آه، لا، ليس من عادتها ذلك. ولكن.. حسناً، أظنها تعبّر بذلك عن احتجاجها.

هزَّت كارولين رأسها قائلة: «تعبّر عن احتجاجها؟ أنا آسفة لأنني بطيئة الفهم، إنما ما الداعي إلى الاحتجاج؟»

رمقها غروم من خلال المرآة أمامه: «ليس من شأني ذكر ذلك يا آنسة».

ـ لا، ولكن بما أنك قلت الكثير، فمن المؤكد أن بإمكانك أن تذكره بشكل استثنائي.

قطب غروم حاجبيه: «آه، الحقيقة إنها لا تقبل فكرة المربية في مثل هذا العمر».

ـ فهمت. أفهم من هذا أنني لست الأولى إذن؟

قالت ذلك وهي تستوعب هذا الكلام باستسلام. كان عليها أن تعلم أن الأمور لن تكون كلها سهلة.

قال غروم وهو يتخطى مشاكل السير بسهولة الخبير المدرب: «بل أنت كذلك، يا آنسة. كانت السيدة الصغيرة في بوسكومب في الفصل الدراسي الماضي. ذهبت إلى هناك منذ كانت في الثالثة عشرة».

شعرت برغبة في أن تسأل السائق بصراحة عن السبب الذي يمنع الفتاة من العودة إلى هناك، ولكنها سيطرت على نفسها. لعلها طردت.. وإذا كان هذا هو السبب فهذا لا يبشر بعلاقة مسالمة.

ـ ولماذا برأيك ذهبت إلى «فينبورن»؟ إنه المكان الذي ذكرته، أليس كذلك؟

ـ نعم يا آنسة. حسناً، ففي فينبورن أمكنة للاتصالات التليفونية، والآنسة لورا من المولعات بالاتصالات التليفونية.

عقدت كارولين حاجبيها: «أليس في المنزل تليفون؟»

ضحك غروم قائلاً: «بل يوجد العشرات منه.. ولكن الاتصالات في المنزل مراقبة من قبل السيدة فرينتش وهي مدبرة منزل السيد بوث، وأنا..».

ـ السيد بوث؟

ـ نعم، يا آنسة. تحب الآنسة لورا أن تكون اتصالاتها التليفونية خاصة، ويمكنك...

عادت كارولين تقول: «السيد بوث؟ من.. من هو السيد بوث؟»

نظر غروم إليها من فوق كتفه بسخرية: «هل تمزحين؟»

هزت كارولين رأسها: «لا».

عقد غروم حاجبيه: «وأنت الآنسة دوغلاس؟ الآنسة كارولين دوغلاس التي تقصد ميتلاندس؟»

ـ حسناً، لم أعرف بالضبط المكان الذي سأقصده. إنني كارولين دوغلاس فعلاً. لماذا؟

ـ أرجو المعذرة، لأنني أظن أنه كان عليك معرفة من هو مخدومك.

ـ مخدومي؟

ـ نعم، يا آنسة. السيد بوث.

هتفت كارولين مبهوتة: «ولكنني توظفت عند سيدة تدعى فروبيشر».

عقد غروم حاجبيه: «أحقاً يا آنسة؟ آه، نعم. لا بد أنها السيدة أيرين فروبيشر، وهي صديقة حميمة للسيدة بوث، لعل السيدة بوث أوكلت إليها هذه المهمة فالسيدة معاقة».

خفق قلب كارولين بعنف وشعرت بشيء من الغثيان: «السيدة بوث... معاقة؟ أتعني أنها تلازم كرسياً بعجلات؟»

ـ نعم، إنها كذلك في الواقع. فهل سبق أن سمعت بها؟ كان عليّ أن أحزر ذلك نظراً لمكانة زوجها الاجتماعية.

قالت كارولين وهي تلعق شفتيها الجافتين:

ـ آه، نعم. سمعت بها.

أومأ غروم برأسه ثم أبطأ سيره لأن جماعة من التلامذة يقطعون الشارع بقيادة مرشد. إنهما الآن في ضواحي ريدنغ. ولا بد أنهما أصبحا غير بعيدين عن.. عن ماذا؟ ميتلاندس؟ نعم، هذا هو الأمر. ميتلاندس! لم تعرف قط اسم المنزل، ولكنها حينذاك لم تعرف الكثير عن حياته الخاصة لأنه حرص على ذلك.

ـ أنا...

سكتت عندما التقت عيناها بعيني غروم في مرآة السيارة.

ـ نعم يا آنسة؟

ـ آه، لا شيء.

جذبت نفساً ثابتاً وهي تحاول أن تفكر بشكل مترابط. ماذا ستفعل؟ لقد أقحمت نفسها في عمل عند الرجل الوحيد الذي كانت ترجو ألا تراه مرة أخرى. ولكن كيف حدث هذا؟ لم تعد من سريلانكا منذ وقت طويل، والإعلان الذي قرأته في صحيفة «التايمس» كان ملائماً كلياً. لا شك أنه علم بذلك فخطط للأمر، وهذا هو السبب الذي جعل تلك السيدة تختارها دوناً عن أولئك المتقدمات. ما هي لعبته؟ وكيف يجرؤ على إدخال الفتاة التي أراد ذات يوم أن يجعلها خليلته إلى منزله؟ ألا يشعر بالخجل؟ ألا يخشى أنها قد تذهب إلى زوجته وتخبرها بعلاقتهما السابقة؟ يا له من عمل حقير!

تحركت في مقعدها بضيق. ماذا تفعل بهذا الشأن؟ لقد دفعوا لها أجر شهر مقدماً والواقع أنها أنفقت قسماً من ذلك المبلغ، فالأجر الذي كانت تتقاضاه في سريلانكا كان قليلاً. وعندما عادت إلى لندن وجوها البارد احتاجت إلى ملابس جديدة مناسبة، كما كان عليها أن تدفع أجر مسكنها المؤقت وثمن الطعام. لولا كل ذلك لطلبت من غروم أن يعيدها إلى المحطة، ولكن كيف لها ذلك مع ظروفها تلك؟

هاهما الآن يجتازان حقول الذرة الخضراء التي كانت بطور النضج، كان الجوّ دافئاً في عصر ذلك اليوم من شهر أيار وكان عليها أن تشعر بالغبطة لأنها ستعمل في هذه المنطقة. ولكن كل ما استطاعت التفكير فيه هو أنها سجنت، وقعت في الفخ...

كان غروم يراقبها من خلال مرآته. فجأة انتبهت إلى تحديقه الفضولي بذلت جهداً لتسيطر على ملامح وجهها ثم راحت تركز بصرها على مشهد القرية التي استطاعت رؤيتها أمامهما.

سألته باتزان ملحوظ: «أية قرية تلك؟»

قال غروم وهو ينظر حوله متفحصاً على أمل العثور على المراهقة الضائعة:

ـ هذه فينبورن وهي مكان صغير.

قالت له: «شكراً، هل هي بعيدة عن.. ميتلاندس؟»

ـ ليس أكثر من ميلين أو ثلاثة، فالآنسة لورا تأتي أحياناً إلى هذا المكان على دراجتها الهوائية. إنها تلح على أبيها للحصول على دراجة ولكن أباها لم يسمح لها بذلك. وهذا ليس بمستغرب في الواقع، فالآنسة لورا فتاة عنيفة الطباع لذا قد تسبب لنفسها كارثة.

لوت كارولين طوق حقيبة يدها بأصابعها بشدة وقالت متلعثمة: «هل.. هل السيد بوث.. والد متشدّد؟»

ضحك غروم بهدوء: أحياناً يا آنسة، أحياناً... لا لزوم للقلق من تلك الناحية يا آنسة، فهو مخدوم جيد عادل ولكنه حازم لذا لن تتعرضي لأية مشكلة معه.. إذا كان هذا ما تفكرين فيه.

هل هذا صحيح؟ ليتها قادرة على الشعور بكل هذه الثقة!

استدارت السيارة حول منعطف في الطريق، فرأت أمامها جداراً قرميدياً عالياً يمتد على طول الطريق لينتهي ببوابة من الحديد المشبك كانت مغلقة أمامهما.

ـ ها نحن هنا يا آنسة في ميتلاندس.

أعلن السائق ذلك وهو يضغط بوق السيارة أثناء اقترابه، ثمة شقة للبواب قرب البوابة خرج منها رجل فلمّا عرف غروم، رفع يده بالتحية ثم عاد إلى داخل الغرفة ليحرك بعض الآلات وهذا ما جعل البوابة تتحرك.

قال غروم: إنها تتحرك آلياً.. على المرء أن يكون حذراً هذه الأيام.

عندما دخلت السيارة من خلال البوابة، عاد جسم كارولين يقشعر خشية: إنه سجن حقاً.. وكم ضايقتها هذه الفكرة.

ما لبثت خشيتها أن زايلتها مؤقتاً عندما لمحت المنزل. إنه مبني من الحجر ويتعرش نبات اللبلاب على جدرانه، وشجر الياسمين يتسلق الأعمدة التي تسند الشرفة الواسعة. كانت النوافذ مستطيلة مقوسة، ثم رأت بابين واسعين يؤديان إلى الشرفة من الخلف. وللشرفة درجات منخفضة. والواقع أن المكان يحتوي على كل ما كانت تتصور أن يحتويه منزل، وما كانت لتكون من البشر إن لم تشعر بالمتعة البالغة لمظهره هذا، ثم فجأة عادت إلى الواقع

فقد رأت شخصاً على كرسي بعجلات يخرج إلى الشرفة من الباب المفتوح.

أوقف غروم السيارة أمام درجات الشرفة ورفع قبعته محيياً المرأة الجالسة في كرسي العجلات ثم فتح باب كارولين الخلفي فترجلت بدورها إنما بتمهل تشعر بتوتر في أعصابها ونظرت إلى ملابسها بحركة آلية لكي تطمئن: بذلتها المصنوعة من الصوف الممتاز بسيطة الطراز إنما أنيقة للغاية وملائمة لمربية مثلها. كذلك كان شعرها ممشطاً إلى الخلف عن وجهها ومكوماً عند رقبتها باستثناء خصلتين التفتا بجانب أذنيها.

تقدمت كرسي العجلات إلى مسافة تبعد قدماً عن درجات الشرفة. نادت المرأة: «اصعدي يا آنسة دوغلاس، فمن الصعب عليّ النزول إليك كما ترين».

فصعدت الدرجات إلى الشرفة بساقين مرتجفتين. ومدت السيدة بوث يدها: «كيف حالك يا آنسة دوغلاس؟ ما أحسن أن نراك أخيراً».

صافحتها كارولين بأدب وقالت: كيف حالك؟

شعرت بالإحتقار تجاه نفسها لأنها لم ترغب في لمس المرأة التي كانت زوجته، ولكن جمالها كان من الروعة بحيث لا يمكن إنكاره. عادت تتساءل من جديد كيف بإمكانه أن يفعل شيئاً كهذا.. لزوجته؟

كانت السيدة بوث قد عادت تقول: «هل استمتعت برحلة جيدة؟ آسفة لتأخر غروم في استقبالك ولكنه شرح بلا ريب ما وقع لدينا».

ـ لقد.. لقد قال شيئاً ما.

عند ذلك كان غروم يصعد الدرجات حاملاً حقيبتي كارولين، فحوّلت السيدة بوث انتباهها إليه لحظة: احملهما إلى الردهة فقط يا غروم وستتصرف السيدة فرنتش بهما فيما بعد، شكراً.

نفّذ غروم التعليمات أما المرأة فأعادت انتباهها إلى كارولين: هيا بنا إلى الداخل، لا شك أنك متلهفة إلى كوب شاي أو شراب منعش في مثل هذا الجو البديع.

انساب كرسي العجلات أمام كارولين مجتازاً العتبة المقوسة إلى ردهة

فسيحة باردة مكسوة بخشب السنديان. وكانت على الأرض سجادة مشمشية اللون تمتد على الدرج العريض أما على الجدران فكانت عدة رسوم أحبت كارولين تأملها، ولكن السيدة بوث كانت تتقدمها إلى غرفة جلوس فسيحة وسرعان ما انصرف انتباه كارولين إلى نماذج مصغرة لصور رائعة اصطفت على الرف الرخامي القائم فوق المدفأة.

سألتها المرأة وهي ترى اهتمامها: «هل تحبين جمع التحف يا آنسة دوغلاس؟»

هزّت كارولين رأسها بسرعة: لا أفهم فيها إلا قليلاً، ولكنها رائعة الجمال.

حوّلت كارولين انتباهها بعيداً عن الصور، قائلة: «إنها غرفة رائعة».

وكانت كذلك. فقد كانت السجادة العاجية اللون منسجمة كلياً مع الأثاث الخشبي الداكن اللون، ومع الستائر الحريرية العاجية والذهبية. هذه الغرفة من الغرف التي لم تر كارولين مثلها إلا في الأفلام. ومع ذلك، فلم تكن غرفة يمكن للمرء أن يستريح فيها.

قالت السيدة بوث وهي تستدير بكرسيها: «إنني مسرورة لأنها أعجبتك».

ثم سمعت نحنحة شخص ما عند الباب فقالت: آه، هذه هي السيدة فرينتش. أحب أن أقدم إليك مديرة منزلنا، يا آنسة دوغلاس. هل لك أن تهتمي بنقل حقائب الآنسة دوغلاس إلى غرفتها؟ كما أننا نريد تناول الشاي.

خرجت مديرة المنزل التي بدت امرأة صموتاً، طويلة القامة نحيلة البنية سوداء الشعر والعينين، خالية من الجمال. والغريب أنها لم تفه بكلمة ترحيب بالمربية الجديدة.

أشارت السيدة بوث إلى كرسي تدعوها إلى الجلوس: ألا تجلسين؟ إنك بوقوفك هناك تجعلين وضعي صعباً. إنك طويلة القامة، أليس كذلك يا آنسة دوغلاس؟

سارعت كارولين للجلوس على الكرسي المشار إليه.

قالت بلهجة آلية: طولي مئة وسبعون سنتمتراً.. سيدة بوث..

ثم قالت بلهجة عرجاء: «أنا.. هل.. هل عثرت على ابنتك؟»

ـ لورا؟ آه، نعم. عثرنا عليها أخيراً. لقد كانت في نزهة على دراجتها الهوائية. أخبرتها أن عليها في المستقبل أن تخبرنا عن المكان الذي تقصده.

قالت كارولين وهي تتحرك في جلستها: فهمت. بالنسبة إلى.. إلى المقابلة..

ـ نعم؟

ـ لقد.. فهمت أن السيدة فروبيشر..

ـ هل حسبتها صاحبة العمل؟ آه، لا. كيف واتتك هذه الفكرة؟ ألم تشرح لك الأمر؟

ـ لا، مع الأسف.

فبدا الاهتمام الصادق على المرأة:

ـ آه، هذا أمر سيء، سيء جداً. ولكن هل شكّل الأمر فرقاً؟ أطمئنك إلى أن سمعتنا مشرّفة كسمعة آل فروبيشر تماماً.

ـ واثقة من ذلك ولكن..

فتنهدت المرأة الجالسة أمامها بعمق:

ـ آنسة دوغلاس، آنسة دوغلاس، إنك ترين حالتي، أليس كذلك؟ امرأة عاجزة مرغمة على قضاء بقية حياتها في هذا الكرسي. مقعدة بشعة.. إنك لا تعرفين ما يعني هذا يا آنسة دوغلاس، وهو أن تكوني معتمدة كلياً على الآخرين. تخجلين من الشفقة التي يبديها نحوك أي شخص. إنني أتجنب مقابلة الغرباء ولا أحتمل استعلاء الآخرين عليّ. آه، قد تظنينني حمقاء أنانية وربما كنت كذلك ولكنني خُلقت هكذا. ولهذا لم أستطع القيام بالمقابلة.. لم أستطع إجراءها. ومن حسن الحظ أن السيدة فروبيشر وهي صديقة لي عزيزة، تطوعت بالنيابة عني في هذا، فأرجو ألا تشعري بالغيظ للاختلاط البريء الذي حدث بالنسبة للأسماء. أؤكد لك أن لورا بحاجة ماسة إلى مشرفة جامعية عليها، وأنا متلهفة إلى فتاة شابة أتحدث إليها.

أبدت كارولين إشارة تنبيء عن عجزها: أنا.. أنا فقط أتساءل عما إذا كنت أملك المؤهلات الضرورية..

ـ أنا مسرورة بمؤهلاتك وكذلك زوجي.

سكتت مرة أخرى فغضّت كارولين بصرها وأخذت تنظر إلى يديها المشتبكتين في حجرها وتورد وجهها قليلاً.

أردفت المرأة: إنك من تحتاجها لورا بالضبط. فتاة شابة مرنة الطباع، فتاة قد تكون صديقتها ومربيتها في آن.

لم تستطع كارولين التفكير في جواب لهذا، ومن حسن الحظ أن السيدة فرينتش اختارت هذه اللحظة لتعود. كانت تدفع أمامها صينية موضوعة على عربة بعجلات وضعت عليها طقم شاي من الخزف الصيني غاية في الجمال والرقة، هذا عدا عدة أطباق فيها شطائر وكعك وقطع حلوى.

أشارت السيدة بوث إلى مدبرة المنزل بدفع العربة إلى قربها وهي تهتف: «آه، الشاي، شكراً يا سيدة فرنتش هل غرفة الآنسة دوغلاس جاهزة؟»

ـ نعم يا سيدتي.

سكبت السيدة بوث الشاي. في هذه الأثناء راحت كارولين تتأملها عن قرب.

هي امرأة جذابة في أواخر الثلاثينات من عمرها، نحيفة سوداء الشعر قد سرّحت شعرها يد خبيرة، وبشرتها خالية من التجاعيد. قبل الحادثة كانت قادرة على جذب عدد كبير من المعجبين المتحمسين بمن فيهم جايمس بوث، ولهذا تزوجها. ثم عندما سئم من القيام بدور الممرضة لزوجة معاقة، أخذ يفتش عن متعته في مكان آخر.

قالت السيدة بوث: فهمت أنك عدت منذ فترة وجيزة من الهند يا آنسة دوغلاس. أهذا هو سبب هذه السمرة الرائعة التي أراها؟

أرغمت كارولين نفسها على التصرف بشكل طبيعي:

ـ أنا.. كنت في سيلان، في الواقع. سريلانكا، نعم عدت منذ شهرين فقط.

ـ هل أعجبتك الحياة هناك؟

ـ الجو هناك حار غالباً، والرطوبة شديدة. ولكنني اكتسبت خبرة في الحياة.

قالت المرأة وهي ترشف الشاي متأملة: «نعم، هل تحبين.. الخبرات، يا آنسة دوغلاس؟»

عقدت كارولين جبينها: «ليس تماماً..».

ابتسمت السيدة بوث معتذرة: «آسفة لأنني عبّرت عن ذلك بشكل سيء. كان عليّ أن أقول هل تحبين المغامرات؟»

هزّت كارولين كتفيها: «آه، فهمت. ظننت أن العمل في بلاد أجنبية سيكون أمراً ممتعاً».

ـ وهل كان كذلك؟

ـ نعم، ولكن العودة إلى البيت شيء حسن.

عقدت السيدة بوث حاجبيها: «وهل لديك بيت؟ فهمت من السيدة فروبيشر أنك...»

ـ آه، لا. فهمت ما تقصدينه.. عنيت ببيتي وطني انكلترا.. ولكنك على صواب، ليس عندي بيت حقيقي هنا. لقد توفي والداي عندما كنت في العاشرة، فأمضيت السنوات السبع التالية من حياتي في بيوت للرعاية. ثم... ثم ذهبت إلى الجامعة.

ـ وما هي هواياتك آنسة دوغلاس؟

ترددت كارولين: «ليست كثيرة. إنني أستمتع بالقراءة وبالموسيقى وكنت أسبح كثيراً في سريلانكا. إنني أحب السباحة».

أشارت السيدة بوث إلى الحديقة الظاهرة من خلال النافذة المستطيلة: «حسناً، لدينا بحيرة سباحة طبيعية هنا غالباً ما يستعملها زوجي، وهناك أيضاً مسبح في المنزل أستعمله كجزء من علاجي، ولكن إذا أردت أن تسبحي معي فيه...».

ـ أشكرك..

ـ وماذا بالنسبة إلى.. الأصدقاء الشبان؟

أجابت كارولين التي شعرت بالضيق مرة أخرى: «أنا.. لا، ليس لديّ صديق بشكل جاد. هذا هو الأمر».

لو سمع تيم ما قالته لامتعض واغتاظ!

ـ جيد.. جيد.

ابتسمت السيدة بوث مرة أخرى، وشعرت كارولين بالدفء لما تراه منها من مودّة.

ـ أظننا سننسجم معاً كلياً. فأنت ما تحتاجه لورا بالضبط، وما نحتاجه جميعاً. والآن هل أقدم إليك مزيداً من الشاي؟

رفضت كارولين ذلك، وساد الصمت بينهما عدة لحظات. ثم وجدت كارولين نفسها مرغمة على أن تسأل:

ـ متى أقابل.. لورا سيدة بوث؟

كانت ضحكة المرأة الأكبر سناً مرحة موسيقية:

ـ من الطبيعي أن تشعري بلهفة للقاء تلميذتك، لقد استمتعت بحديثنا هذا كثيراً حتى نسيت سبب وجودك هنا.

لم تستطع كارولين أن تصدق هذا، ولكنها تجاوزت عنه.

ـ هل لدى ابنتك مربيات أخريات يا سيدة بوث؟

ترددت المرأة ثم قالت: «لا، ألم تشرح لك السيدة فروبيشر الأمر؟ كانت لورا في مدرسة داخلية، ولكنها قبل عيد الفصح بالضبط أصيبت بالتهاب رئوي. فقد كانت من الحماقة بحيث خرجت بدون معطف أثناء العاصفة. فقررنا أنا وزوجي أن من الأفضل لها أن تتعلّم في البيت».

ـ فهمت. ولكنها شفيت الآن؟

ـ آه، نعم. إنها معافاة الآن. ولكنك تعلمين كيف يكون الأمر عندما يكون الولد وحيداً لوالديه؟ فهما يكونان شغوفان به للغاية.

لم يكن هذا متطابقاً مع ما حدثها به غروم. ولكن كارولين من الفطنة بحيث علمت أن الوالدين لا يرون دوماً الأمور من الزاوية التي يراها بها

الآخرون. وما زاد في انزعاجها هو أن جايمس كذب عليها بالنسبة إلى لورا أيضاً. فقد أكّد لها دوماً لها أن زوجته لا تجد وقتاً تنفقه على ابنتهما، وأن لورا ستعاني كثيراً إذا طلب الطلاق. فلو طلب الطلاق لما استطاع رؤية الطفلة مرة أخرى إلا نادراً.

قالت المرأة الأخرى: «لا أقول إن لورا موافقة على ترتيباتنا هذه بشأنها. فهي... فتاة مستقلة الشخصية، وبرأيها أننا نبالغ كثيراً في إثارة هذه الضجة بشأن مرضها. ولكن هكذا هم الآباء».

جاءت جيني الخادمة فرافقت كارولين إلى غرفتها.. تقع غرفتها في آخر الممر المتشعب إلى الشمال في قمة الدرج.. وعند اليمين ثمة درابزين رائع الجمال شكّل فسحة تشرف على الردهة وكانت الأبواب تُفتح على هذه الفسحة، وبينها كانت تقوم تحف فنية.

الغرفة التي خُصصت لها بالغة الاتساع. سقفها العالي المنحوت يشرف على سرير مربع ذي أربعة أعمدة، وكان هناك مكتب صغير ذهبي الجوانب وكرسي مريح مواجه للتلفزيون، كانت النوافذ المستطيلة تطل على حدائق المنزل الخلفية، وأسفل منها هناك الشرفة التي تؤدي إلى مرج أخضر وحديقة ورود، وخلف ذلك كانت هناك شبكة حديدية يبدو خلفها تألق مياه خضراء، ربما تشير إلى وجود البحيرة. تلك البحيرة الطبيعية التي غالباً ما يستعملها جايمس..

عادت تواجه الغرفة مرة أخرى، مبعدة تلك الأفكار المزعجة جانباً. كان الحمام الملحق بالغرفة يماثلها جمالاً وأناقة.. كانت المرايا تغطي الجدران فسبب لها هذا صدمة إذ رأت فيه نوعاً من عدم الحشمة، وكانت هناك خزانة في الجدار تحتوي على مجموعة كبيرة من عطور الحمام والبودرة والمحاليل وكل ما يساعد على لذة الاسترخاء في المياه الدافئة المعطرة.

فتحت كارولين صنابير المياه لعل الحمام يهدئ من أعصابها ويساعدها على تحليل الأمور التي تواجهها.

***

لم يرد الاستحمام إلى كارولين غير القليل من ثقتها بنفسها. فأخذت تنقب في حقائبها التي أحضرتها السيدة فرينتش إلى غرفتها. لقد طلبت السيدة منها موافاتهم هي وزوجها ولورا إلى المكتبة في تمام السابعة. ولم تكن كارولين تعلم سبب هذا الاستدعاء. كانت تسرح شعرها أمام مرآة منضدة الزينة عندما سمعت طرقاً على الباب.

سرعان ما توترت أعصابها ولكنها قررت إذا كان جايمس نفسه وراء الباب أن تخرج من هذا البيت مباشرة.

- نعم؟

جاء صوتها فظاً عنيفاً، ولكن ما لبث الضعف أن تملكها وهي تسمع صوتاً أنثوياً فتياً ينادي: «هل أستطيع الدخول؟» قطبت كارولين حاجبيها وتركت الفرشاة من يدها، ثم تناولت معطفها المنزلي الحريري الذي ارتدته لدى خروجها من الحمام وأجابت: نعم، ادخلي.

الفتاة التي دخلت هي ابنة جايمس حتماً، لأنها من الشبه به بحيث شعرت كارولين بصدمة حقيقية لذلك. كانت نحيفة القد ذات شعر قاتم وعينين عميقتين بنيتين وبشرة سمراء.. دخلت إلى الغرفة وهي تنظر إلى ما حولها بحذر وكأنها شبه خائفة من أن تكون كارولين برفقة أحدهم..

بعدما أغلقت الباب، قالت: مرحباً.. أنا لورا.

انقبضت أصابع كارولين في جيبي معطفها وهي تواجه الفتاة التي ترتدي بنطلون الجينز: «نعم، أدركت أنك قد تكونين القادمة».

منحتها لورا ابتسامة مختصرة: «وأنت الآنسة دوغلاس طبعاً. رأيتك عندما وصلت».

- رأيتني؟

فقالت لورا بسرعة:

- من نافذة غرفتي. إنها تشرف على طريق البيت، لقد كنت مسجونة هناك منذ عودتي من فينبورن منذ فترة.

شعرت كارولين بعينيها تتسعان وهي تقول: «أحقاً؟»

www.liilas.com/vb3 Love shafes

ـ نعم، ألم تخبرك أمي؟ يبدو أن غروم تأخر في الذهاب لاستقبالك والسبب أنا.

لم تشأ كارولين الانحياز في هذا الشأن، فقالت: «ربما قالت شيئاً بهذا الخصوص».

ـ أظنها فعلت، إذ كان عليها أن تقدم إليك سبباً لعدم لقائي بك، أليس كذلك؟

فأجابت كارولين بلين: «هذا غير ضروري.. فقد فهمت أنني سأقابلك فيما بعد هذا المساء».

ـ آه! حسناً، على كل حال، أريد محادثتك أولاً. أريد منك أن تعلمي بأنني لا أحتاج، ولا أريد، مربية. فإن لم يكن بإمكاني أن أكمل تعليمي بالطريقة التي يكمل بها كل أصدقائي تعليمهم، فلن أتعلم شيئاً بعد الآن. وإن ظننت أنني قد أتعلم بهذه الطريقة فاعلمي أنك تهدرين وقتك.

ـ أحقاً؟

شعرت كارولين رغماً عنها بالإعجاب بصراحتها التي قد يعتبرها بعضهم وقاحة.

عادت تقول: «ألا تظنين أن والديك يستحقان منك مقداراً أكبر من الاعتبار؟»

رفعت لورا كتفيها: «والداي؟ لا أعلم ما الذي أخبرتك به أمي ولكنني أستطيع التكهن. لا أظنها أتت على ذكر جون، أليس كذلك؟»

ـ جون؟

قالت لورا بعناد: «أنت لا تعرفين. آه، حسناً، سأخبرك على كل حال. إنهم يبعدونني عن المدرسة لأنني أحببت شاباً يعمل في طريق ينشئونه قرب المدرسة».

قالت كارولين مبهوتة: «لورا، أرجوك، لا أريد أن أعلم».

ـ ولِمَ لا.. فأنت ستعلمين ذلك عاجلاً أم آجلاً إذا أنت بقيت هنا، لأنني لن أتخلى عنه.

حدقت كارولين إلى الفتاة التي كانت تواجهها ثائرة، ثم تنهدت. إذن فهذا هو الأمر؟ يبدو هذا منطقياً أكثر من الحديث عن مرض سابق. إن شاباً يعمل في بناء طريق لا يبدو مناسباً على الإطلاق لصغرى فتيات أسرة بوث. تسلل إلى نفسها شعور خفي بالعطف عليه، مع أنها كانت مقتنعة أن لورا أصغر من أن تقع في غرام أي شخص كان.

ثم سألتها وقد تملكها الفضول:

ـ و... وما هو عمل ذلك الشاب؟

أجابت لورا بحرارة وحماسة: «إنه مهندس واسمه جون موني».

قالت كارولين بلهجة جافة: ما دام مهندساً فهذا يعني أنه يكبرك بكثير.

عاد التمرد إلى ملامح لورا والتهبت عيناها غضباً: «وماذا في ذلك؟ وما شأن العمر بهذا؟ فالمهم المشاعر».

تنهدت كارولين: «أفهم من هذا أنه سبق لهذا الجدال أن قام بينك وبين والديك».

ـ هما لا يتفهمان.. إنهما أكبر سناً من ذلك..

ـ أليس قول ذلك سهلاً؟ ربما هما أكثر تفهماً منك.

ارتفع صوت لورا بحدة لما شعرت به من خيبة الأمل.

ـ آه، إن عليك أن تقولي ذلك فأنت بجانبهما. كان عليّ أن أكون أكثر حكمة من أن أظن أن أي شخص يعمل عند أمي سوف..

فجأة انفتح الباب بعنف ووقف بالعتبة رجل جذاب يحملق في الفتاة الصغيرة وهو يقول بغضب بالغ: «لورا، ماذا تظنين أنك تفعلين بحق الله؟ أسمع صوتك من آخر الممر. كيف تجرؤين على القدوم إلى هنا لإزعاج...»

انتقلت عيناه إلى الفتاة الأخرى في الغرفة ثم إذا بهما تضيقان بعدم تصديق: كارولين!

تمتم بذلك ثم تمالك نفسه بجهد شعرت هي أنه بالغ للغاية.

عندما رأت كارولين أن لورا قد استدارت الآن لتنظر إلى مربيتها الجديدة

بفضول بالغ. علمت أنه من المنتظر منها أن تقول شيئاً فاستطاعت ذلك بهدوء لم تكن تعلم أنها تملكه: «مر.. مرحباً يا سيد بوث، ما أجمل أن أراك مرة أخرى».

ـ هل تعرفان بعضكما بعضاً؟

منحهما سؤال لورا واستغرابها وقتاً يقوّمان فيه الوضع. ولولا شعور كارولين بمثل هذا الغضب البالغ والازدراء لدى رؤيتها هذا الشخص الطويل القامة الرشيق الجسم، لربما تملكها الإعجاب لسرعة تملكه لأعصابه. فقد محا زلة لسانه هذه وكأنها لم تكن.

التفت إلى ابنته قائلاً: لقد تعارفنا أنا والآنسة دوغلاس منذ سنوات، عندما كانت تعلّم لمدة معينة. ولكن مع ذلك يا لورا أريد منك تفسيراً لتصرفك هذا.

أجابت لورا وهي تزم شفتيها: آسفة إذا كنت سمعتني. كنت فقط.. أضع الآنسة دوغلاس في الصورة.

نظر جايمس إلى ابنته برصانة، فأخذت كارولين ترقبهما وقد ثارت الذكريات المؤلمة في نفسها. إن هذا بيته، وزوجته، وابنته. وقد كان على استعداد لتعريضهم جميعاً للخطر مقابل عدة ساعات يمضيها في فراشها.

وكان الآن يقول: «اذهبي إلى غرفتك يا لورا وغيري ملابسك إلى شيء مناسب ثم التحقي بنا أنا وأمك والآنسة دوغلاس إلى غرفة المكتبة، هل تفهمين؟»

تمتمت لورا بوجه متجهم الملامح: أنا لست جائعة.

ـ ومع ذلك ستنفذين ما أطلبه منك. أم تريدين أن تظن الآنسة دوغلاس أنك أصغر مما كانت تظن؟

ـ آه، آه، لا بأس.

اندفعت لورا خارجة من الغرفة أما جايمس فرافقها حتى أصبحت في الممر ثم توقف والتفت ناظراً إلى كارولين، وقال بلهجة ملؤها التكلف: إنني آسف، إن لورا صعبة المراس كما ترين.

ـ نعم.

ولم تستطع أن تفكر بجواب غير ذلك.

عاد جايمس يحدق إليها لحظة أخرى، ثم حرك كتفيه وقال: «المعذرة! زوجتي تنتظرني».

سار مبتعداً فاندفعت كارولين تصفق باب الغرفة ثم استندت إليه وهي ترتجف. كان الاضطراب والذهول يتملكانها، فبقيت عدة دقائق في هذا الوضع تجاهد لتتمالك نفسها. وأخيراً، انتصبت واقفة، ثم سارت إلى منضدة الزينة حيث التقطت فرشاة الشعر مرة أخرى وهي تفكر شاعرة بالدوار، بأن وجهها ما زال يبدو كما هو بالضبط، باستثناء أنه أكثر شحوباً عما كان عليه عندما خرجت من الحمام. أخذت تفكر وهي تمشط شعرها الكث. يقولون إن الكراهية تبدو في العينين، ولكن لم يبد في عينيها سوى الارتباك ومع ذلك فقد شعرت الآن أنها تكرهه أكثر مما كرهته قط.

* * *

عندما أتمّت كارولين زينتها وارتدت ملابسها وهبطت الدرج، كانت الساعة قد تجاوزت السابعة. كانت يداها من الارتجاف بحيث لطخت وجنتيها بالكحل، ثم أراقت عطرها المفضل على السجادة، وهذا ما جعل رائحة غرفتها أشبه برائحة معمل تقطير الكحول ومع ذلك أصبحت جاهزة أخيراً، رشيقة القامة، جذابة. كانت ترتدي سروالاً مخملياً أسود وبلوزة بيضاء طويلة الكمين. وكان شعرها، كالعادة، معقوداً على رقبتها من الخلف وهذا ما جعلها تبدو هادئة كما كانت ترجو.

عندما وصلت إلى الطابق السفلي، كانت السيدة فرنتش في الردهة، فأرشدتها إلى غرفة المكتبة حيث واجهها باب مغطى بالجلد. لمّا سمعت غمغمة أصوات في الداخل، طرقت الباب وسرعان ما انفتح.. ورأت للمرة الثانية هذا اليوم جايمس الذي حياها بإيماءة خفيفة من رأسه، أما هي فحولت انتباهها إلى المرأة الجالسة إلى يمين مدفأة ضخمة مؤطرة بالخشب. رأتها السيدة بوث فأشارت إليها بأن تتقدم هاتفة: «ادخلي، يا آنسة دوغلاس. كنا

تتحدث عنك. آسفة لما لقيته من إزعاج من لورا».

دخلت كارولين إلى الغرفة المليئة بالكتب على كره منها وهي تقول: «لم يكن هناك إزعاج، آسفة لأنني جعلتكم تنتظرونني».

ـ لا داعي للأسف.

بدت المرأة، هذا المساء، أنيقة في ثوب طويل أحمر اللون مطرز الحواشي والعنق.

قالت السيدة بوث: «تفضلي بالجلوس. أخبرني زوجي أنه سبق أن قابلك».

تورد وجه كارولين ولكن لم يكن هناك سبيل إلى منعه، فتمتمت تقول بشيء من السخافة: أحقاً؟

نظرت زوجة جايمس إليه مازحة.

قالت: نعم. أليس كذلك يا عزيزي؟

انغرزت أظافر كارولين في راحتيها. ما الذي تقصده؟ وماذا قال لها جايمس؟

نظرت عيناه إلى كارولين.. بدتا غامضتين مبهمتين لا تفصحان عن شيء ثم قال ببرودة: «لقد أوضحت أنك الشابة التي كانت تعلّم جيوفري وفنسنت في منزل «آل فورستر» منذ سنوات».

استلمت زوجته الحديث: نعم، ويا لها من مصادفة. إن آل فورستر أصدقاء حميمون لوالد زوجي. وأنا واثقة أنهم سيدهشون عندما يعلمون أنك مربية لورا، أليس كذلك يا جايمس؟

قال جايمس ببطء: «سيدهشهم ذلك جداً. والآن، يا آنسة دوغلاس، هل أقدم إليك عصيراً أو شيئاً ما؟»

ترددت كارولين لحظة، ثم أومأت تقول: «شكراً عصير الكرز رجاءً».

عندما كان يسكب لها العصير في الكوب راحت كارولين تراقبه بعداء. لقد أقنعتها تصرفاته بأنه لا يشعر بوخز الضمير بسبب ما فعل.. وكان السخط قد أحدث لديها دفعة من الشجاعة فقالت بتكلف مصطنع: «أدهشني أن

تتذكرني يا سيد بوث. فتعارفنا لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية».

ما إن انطلقت هذه الكلمات من فمها، حتى استغربت كيف سمحت لها أعصابها بالنطق بها، ولكنها شعرت بالرضى وهي ترى أنه ارتبك لسماعها.

أما زوجته فاستمعت باهتمام لما قالته كارولين فتدخلت متمتمة: «إنها نقطة هامة يا آنسة دوغلاس. جايمس، يا عزيزي، هل تحاول أن تجعلني أغار؟»

قيل هذا كله في معرض المزاح، ولكن جايمس اتخذ سبيل الدفاع، فقال: قابلت «أيرين فروبيشر» في المدينة بعد ظهر هذا النهار، فذكرت اسم الآنسة دوغلاس، وكان هذا، وليس وجهها رغم جاذبيته التي لا شك فيها، هو الذي جلب الذكرى».

عندما أنهى حديثه، كانت شفتا زوجته قد توترتا بشكل ما. أما كارولين فجلست على كرسي بجانبها، ولكن ذلك لم يمنعها من الشعور بالغضب والاحتقار، وعندما تناولت كوب العصير من يده سمحت لمشاعرها بالخروج من أعماق عينيها الملتهبتين، وإذا كان جايمس قد لاحظ هذا، فهو لم يبد ما ينمّ عن ذلك بل انتقل ليقف بجانب المدفأة الخالية واضعاً قدمه على حاجزها النحاسي.

ران الصمت عدة دقائق قطعته ديبوراه التي غيرت دفة الموضوع، وهذا أشعر كارولين براحة كبرى:

ـ أخبريني آنسة دوغلاس عما قالته لك لورا بالضبط.

فتنهدت كارولين ثم قالت ببطء: «تستطيعين أن تحزري لأنه جدال سبق أن قامت به معك من قبل».

عضت المرأة الأكبر سناً شفتها السفلى: إممم.. أظنها حدثتك عن هذا الرجل.. موني؟

ـ نعم.

ارتجفت فتحتا أنف ديبوراه بوث وهي تقول:

ـ هذا أسوأ الأمور. كيف يجرؤ هذا الرجل، هذا البنّاء الإرلندي، أن يعتبر نفسه مساوياً للورا؟

قال جايمس بهدوء: «ليس هذا هو الموضوع يا ديبوراه. فخلفية موني هي آخر ما يهمنا. والموضوع يختصر بأن لورا أصغر من أن تتورط بعلاقة مع أي شخص، خصوصاً بعلاقة مع رجل يكبرها عشر سنوات تقريباً».

عند ذلك رأت كارولين عينيه تستقران عليها، فشعرت أنهما تتحديانها أن تعلن أن الفارق بين عمريهما لم يكن غير مهم بالنسبة إليه.

قالت ديبوراه: «ومع ذلك، فالوضع صعب للغاية فهو لم يقتنع بأنه تسبّب في إصابة الفتاة بالتهاب رئوي بل لحق بها إلى هنا، إلى فينبورن، محدثاً توتراً مستمراً في المنزل».

ـ كانت إصابة لورا بالالتهاب الرئوي مصادفة..

ولكن زوجته قاطعته قائلة: «لا يمكن أن أسمي الإصابة بالتهاب رئوي مصادفة، يا جايمس..».

وعادت ديبوراه بانتباهها إلى كارولين قائلة: في هذا اليوم، قابلت ذلك الرجل في فينبورن.

ـ آه..

ـ هذا الرجل مجرد حشرة ضارة. أليس لديه عمل يقوم به؟

قال جايمس: إنه مهندس يا ديبوراه. سألت عنه في شركة البناء التي يعمل فيها.

ـ ولكن ماذا يفعل في فينبورن ما دام يعمل في الطريق القريب من بوسكومب؟

قال جايمس ساخراً: «يخيل إليّ أن لديه أيام عطل. هل تريدين كوباً آخر من العصير يا آنسة دوغلاس؟»

وبما أن كارولين لم تكد تمس الشراب الذي في يدها فقد هزت رأسها نفياً، ولكن ديبوراه كما يبدو لم تكن مهتمة بموضوع كهذا، فقالت بحدة: «مهما يكن وضعه، على لورا أن تعلم أننا لن نسمح لها بالقيام بما تحب، فالرجال في سنه يهتمون بالفتيات اللاتي في سن لورا من أجل شيء واحد فقط، وعندما ينالون مبتغاهم...».

سكتت ثم نظرت مباشرة إلى كارولين: «أليس كذلك آنسة دوغلاس؟ فأنا واثقة بأنك، بخبرتك الكبرى، تعلمين بالضبط ما أعنيه».

شعرت كارولين بجفاف في فمها وهذا ما جعلها غير قادرة على أية إجابة منطقية: «أنا.. أنا..».

قالت ديبوراه بإصرار: «ألم تتعرضي قط لمثل هذا من الأمور، آنسة دوغلاس؟»

شعرت كارولين بالراحة عندما انفتح باب المكتبة وبدت لورا نفسها.

لقد تنازلت تنازلاً بسيطاً من أجل المناسبة، فقد استبدلت بنطلون الجينز ببنطلون أنيق. ولكن القميص القطني الذي كانت ترتديه معه كان مطبوعاً عليه رسالة صريحة هي (أشعلني يا حبيبي)، ولم يكن هذا يساعد على تعزيز علاقة جيدة بينها وبين أبويها. ومع ذلك فقد حوّل مجيئها انتباه ديبوراه عن كارولين.

قالت لورا بنحد وهي تدير نظراتها بينهم جميعاً: «ها أنذا، لا تتوقفوا عن الحديث عني لمجرد قدومي».

ـ يزيد غرورك من عدم تضجك.

قال أبوها ذلك بهدوء، ورأت كارولين كيف فجرت كلماته ثقتها بنفسها، وهتفت قائلة بلهجتها الثائرة التي استعملتها في غرفة كارولين: «أما كنتم تتحدثون عني إذن؟»

قالت ديبوراه بلهجة حازمة: «كنا نتحدث عما يمكن أن تكون نوايا رجل ناضج من تلميذة مدرسة. كانت الآنسة دوغلاس تهمّ بمحادثتنا عن خبرتها في هذا الشأن».

قال جايمس بغلظة: «أشك أن لخبرات الآنسة دوغلاس أي علاقة بهذه الحالة، فسلوك الآنسة دوغلاس ليس موضع نقاش هنا يا ديبوراه، وأرى أن نكرس أنفسنا للمسألة التي بين أيدينا».

شكرت كارولين في قلبها جايمس لأنه جنبها هذا الأمر. ولكن بالرغم من ارتياحها، ازداد عداؤها للرجل الذي كان يظن أن بإمكانه أن يبدد بسهولة

أي إحراج في هذا الموقف.

تحركت لورا بضيق ثم انفجرت غاضبة:

ـ هذا كل ما تفكرون فيه أليس كذلك؟ الجنس والمال، المال والجنس!

انقبضت يدا ديبوراه على ذراعي مقعدها، وقالت ببرودة:

ـ إن استعمالك لجمل حمقاء بهذا الشكل بقصد جعل الآخرين يستمعون إليك، لن يحل أيّ شيء يا لورا.

ـ ليست جملاً حمقاء، بل هي الحقيقة، فهذا كل ما يهمكم في الواقع.

ـ لورا.

امتدت يد جايمس بصفعة على وجنة لورا التي رفعت يدها لتغطي العلامة الفاضحة وصاحت باحتجاج صامت. أما هو فقال ببرودة الثلج: «اذهبي إلى غرفتك، وسأتحدث معك فيما بعد».

ارتدت لورا على عقبيها خارجة من المكتبة، ثم سمعت كارولين شهيقها وهي ترتقي درجات السلم اثنتين اثنتين. وساد صمت آخر مشحون بالتوتر.

قال زوجته: إنه أمر لا يغتفر يا جايمس.

كانت ديبوراه تعبث باللآلىء الملتفة حول عنقها باضطراب يناقض هدوء كلماتها، وظنت كارولين لحظة أنها تتحدث عن صفعة لورا. ولكنها بعد دقيقة، أدركت غلطتها فقد استطردت ديبوراه قائلة: «كيف تكون ابنتي بمثل هذه الوقاحة...».

ولكنها ما لبثت أن نظرت إلى كارولين معتذرة: «آه، يا عزيزتي. ما عساك تظنين بنا؟.. أؤكد لك أن لورا ليست متمردة إلى هذا الحد بطبيعتها».

أبدت كارولين إشارة تساهل: «آه، أرجو منك عدم الاهتمام بي فأنا أعرف المشاكل التي يواجهها الآباء مع أبنائهم المراهقين هذه الأيام».

قالت ديبوراه التي بدت في عينيها فجأة نظرة تقويم:

ـ أحقاً؟ لا شك بذلك نظراً لخلفيتك..

إنها كلمة غامضة ولكن كارولين تجاهلتها، أما المرأة فأردفت: «عاشت لورا حتى الآن حياة محافظة.. ليس لديك فكرة عن الألم الذي أشعر به عندما

أفكر في أن هذا... هذا الرجل قد يجرؤ أن يمدّ يده عليها..».

قال جايمس بصوت عنيف: «دعي هذا بحق الله يا ديبوراه. المعذرة فسأذهب لأرى إلى متى يتأخر العشاء».

وقفت كارولين عندما وصل إلى الباب وهي تقول: «آه، ولكن... أعني أن بإمكاني أن أتناول العشاء في غرفتي».

ردّ جايمس:

ـ ولماذا تفعلين هذا؟ أطمئني فقد انتهى المشهد الهزلي في هذا المساء. سترين أننا نأكل نحن أيضاً بالشوكة والسكين كسائر الناس المتمدنين.

كادت كارولين تتقوقع على نفسها إزاء كلامه الخشن هذا أما ديبوراه فهتفت: «لا تجعل الوضع أصعب مما هو عليه بالنسبة إلى الآنسة دوغلاس، يا عزيزي. فأنا واثقة أنها قالت ذلك عن لباقة فقط».

قالت كارولين بهدوء: «أتساءل حقاً عما إذا كان ثمة موجب لبقائي هنا، فما دامت لورا...».

قاطعتها ديبوراه مبددة أي أمل قد راود كارولين لتركهم بكياسة. قالت بحزم: «ستنفذ لورا ما نطلبه منها، فقد استخدمناك، يا آنسة دوغلاس، وسنعفيك من العمل عندما يحقق وجودك هنا غرضه. هل كلامي مفهوم؟»

ـ نعم يا سيدة بوث.

جذبت كارولين نفساً عميقاً بينما ترك جايمس الغرفة بعدما ألقى نظرة مختصرة عليهما.

* * *

LOVE_Shades
www.liilas.com/vb3

٣ ـ التحدي الأول

كان العشاء أسوأ وجبة تناولتها كارولين في حياتها، فهي لم تأكل كثيراً مع أن الطعام شهي. وكانت الحلوى «كاتو» بالفريز وهذه رفضها الجميع، فاقترحت ديبوراه أن تذهب وكارولين إلى غرفة الجلوس لتناول القهوة، وتركتا جايمس عند المائدة.

تراءى لكارولين أن المساء كله غير حقيقي، وسرّها قدوم آل فروبيشر في الوقت الذي كانت فيه ديبوراه تسكب القهوة. فلعلها الآن تقدر على الاعتذار والخروج قبل أن يعود جايمس.

ولكن ديبوراه ما كانت لتسمح لها بالخروج بهذه السهولة، فعندما دخلت آيرين وزوجها، قالت لها: وصلت في الوقت المناسب لتتناولي القهوة معنا. تعال يا دايفد وتعرّف إلى الشابة التي اختارتها زوجتك لنا.

أرغمت كارولين نفسها على الابتسام عندما رأت المرأة التي أجرت معها المقابلة في لندن. تكبر آيرين فروبيشر ديبوراه بعدة سنوات، وهي تميل إلى البدانة. أما زوجها فكان بالغ النحافة ولكنه ليس طويل القامة مثل جايمس، قد خط الشيب شعره البني وكانت عيناه تتألقان خلف نظارتيه.

قالت آيرين بأدب هادىء: «مرحباً مرة أخرى، آنسة دوغلاس. هل استقر بك المقام في ميتلاندس؟»

هتفت ديبوراه بشكل مسرحي:

ـ آه، يا عزيزتي. لقد مرت الفتاة بمحنة حقيقية، فقد حدث مشهد آخر مع لورا جعلنا نرسلها إلى غرفتها.

قال دايفد فروبيشر برقة وهو يمنح كارولين ابتسامة واسعة ذات معنى:

«مسكينة لورا. ما الذي فعلته الآن؟»

ردت ديبوراه التي بدا عليها الغيظ بحدة: «الأمر ليس مزاحاً يا دايفد. كانت وقحة إلى درجة رهيبة».

في هذه اللحظة دخل جايمس وهو يقول بفروغ صبر: هلا تركنا موضوع لورا؟

قال دايفد مانعاً بذلك أي جدل قد يتلو ذلك: «جئت في الواقع يا جايمس، لأرى إن كنت تحب أن تكون ضمن مجموعتي الأحد القادم. لقد تركنا كارني الذي أصيب بالتواء في معصمه أثناء لعبة التنس».

انقسم الحديث عند هذه النقطة، فجايمس أخذ يتحدث عن السباق مع دايفد، بينما أخذت ديبوراه وآيرين تتبادلان التعليقات المتعاطفة. أما كارولين فقد ازدردت قهوتها ثم هبت واقفة: «أرجو المعذرة.. أنا متعبة قليلاً».

همّت ديبوراه بالاعتراض، ولكن قبل أن تقول شيئاً تدخل جايمس قائلاً: «نعم، بالتأكيد. تصبحين على خير يا آنسة».

نامت ويا للدهشة تلك الليلة بشكل جيد، فقد كان الفراش مريحاً للغاية. وبما أنها لم تنم قط بين ملاءات حريرية، فقد وجدت في ذلك متعة كبرى. استيقظت على زقزقة الطيور في الحديقة خارج نوافذها، وبقيت مستلقية عدة دقائق تستمتع بهذه الأصوات التي كانت مختلفة كل الاختلاف عن ضجيج حركة المرور الذي كانت تسمعه في لندن. نظرت إلى ساعتها الموضوعة على المنضدة بجانب السرير فوجدت أنها لم تبلغ الثامنة، فعادت إلى الاسترخاء.

لقد غلبها التعب الليلة الماضية. كان نوعاً من الإرهاق العقلي بمقدار ما هو جسدي وهذا ما وتّر أعصابها. ولكنها اليوم تشعر بأن عقلها مستريح يقظ.. لذا استطاعت أن ترى أحداث الليلة الماضية بأبعادها الصحيحة، ودهشت وهي ترى نفسها تفكر في المهمة التي أمامها ببعض الحماسة.

ولكن ماذا عن الأمور الأخرى المعقدة؟ عقدت حاجبيها عابسة. أصحيح أن جايمس لم يتعرف إلى هويتها حتى أمس؟ وأنه لم يربط بين المربية التي

أحضرها لابنته وبين الفتاة التي أحبها مرة.. إلا بعدما التقى بالسيدة بروفيشر؟

تمالكت نفسها أثناء ارتدائها ملابس العمل التي هي بذلة كحلية عادية كانت تلفت الأنظار إلى بياض بشرتها الناصع..

عندما كانت تحكم وضع ساعتها في رسغها، أخذت تفكر: هل قررت البقاء هنا؟ هل كان غضبها أمس وسخطها على لا شيء؟ وهل انتصرت ضرورة العمل أخيراً على منطق المشاعر؟ ما دامت مستعدة للبقاء هنا، فلا بدّ من تقبل أمرين.. الأول أن دهشة جايمس حين رآها كانت صادقة، والثاني أنها ستعيش في بيت رجل لا يكن احتراماً حقيقياً لبنات جنسها بما في ذلك زوجته. هل بإمكانها أن تصدق نظرة عدم التصديق التي بدت في عيني جايمس في هذه الغرفة بالذات؟ وهل يمكنها احتمال الوقوف جانباً متفرجة عليه وهو يخون زوجته؟

تنهدت وهي تنهي إحكام ساعتها حول معصمها. ما الذي يجعلها تريد البقاء؟ حتى ولو اختار جايمس التصرف وكأنه لم يمض معها سوى يوم واحد، فهو سيكون هنا على الدوام وستشعر هي على الدوام بوجوده. لقد بدت لها ديبوراه ودوداً بما فيه الكفاية، ولكن كارولين على علم بالطبيعة البشرية إلى حد يجعلها تعلم أن الأمور قد لا تكون بهيجة على الدوام. كان المنزل والعمل فيه مرفهاً مترفاً، ولكن كارولين لم تكن قط من محبي الترف والحياة المرفهة. ولعل هذا ما دفعها للذهاب إلى سيلان، فقد أعجبتها حياة البساطة والتقشف هناك، وربما كان اندفاعها إلى هذه الوظيفة بسبب رغبتها في الخلاص من تيم، فما الذي أعجبها فيها؟

جاءها الجواب في كلمة واحدة.. لورا، تلميذتها، الفتاة التي جاءت لتعلمها والتي هي السبب في توظيفها في الحقيقة. لن تكون الفتاة مسؤولية سهلة وسيكون هنالك مشاكل تتجاوز العلاقة الطبيعية بين المعلمة وتلميذتها، ولكنها تمثل تحدياً بالنسبة إليها، والأكثر من ذلك أن كارولين تحب مساعدتها ففي الفتاة ما يصرخ طلباً للعون والتفهم.

قطع عليها تأملاتها هذه قرع على الباب، فذهبت لتفتحه والتوجس يساور

نفسها من هذا الزائر غير المنتظر.. ولكنها لم تكن سوى الخادمة جيني التي تحمل صينية مثقلة بين يديها، وقالت: «فطورك يا آنسة، هل أضعه لك في الغرفة؟»

ـ آه، لا. الرائحة شهية، أشكرك.

تناولت كارولين الصينية منها باسمة.

أومأت جيني بعدم اكتراث ثم قالت وهي ترتدّ ذاهبة:

ـ ستقابلك الآنسة لورا في المكتبة الساعة التاسعة.

أنزلت صينيتها إلى الطابق السفلي في الساعة التاسعة إلا خمس دقائق، وهناك قابلت السيدة فرنتش الخارجة من غرفة عرفت فيما بعد أنها الغرفة الصيفية. أسرعت مدبرة المنزل تتناول الصينية منها وهي تقول: «ما كان ثمة حاجة لهذا يا آنسة دوغلاس، فبإمكان جيني أن تنزل الصينية إلى المطبخ بعدما تنهي ترتيب سريرك».

أجابت كارولين متنهدة: «رتبت سريري بنفسي فأنا معتادة على العناية بغرفتي».

ـ لن يكون هذا ضرورياً يا آنسة دوغلاس، وسأكون مسرورة إن تركت أمرها لنا. فهذا عمل جيني الذي عليها القيام به.

كبحت كارولين الرد العنيف الذي قفز إلى ما بين شفتيها ثم هزت كتفيها: «كما تريدين يا سيدة فرنتش».

تركت كارولين مدبرة المنزل، ثم اجتازت الردهة إلى المكتبة حيث ترددت لحظة ثم قرعت الباب، ولكنها لم تتلقّ جواباً. وبعد المحاولة الثانية فتحت الباب ثم نظرت إلى داخل الغرفة.

بدت لورا بوث مستلقية على كرسي عند منضدة. كانت متكئة على المنضدة بتكاسل تحدّق إلى الفضاء متأملة.. عندما دخلت كارولين الغرفة لم تكد ترفع بصرها إليها ولم ترد التحية عليها أيضاً.. ارتدت لورا هذا اليوم السروال الجينز والقميص القطني اللذين كانت ترتديهما عندما قابلتها كارولين للمرة الأولى..

أغلقت كارولين الباب ثم تقدمت من المنضدة متمهلة عند ذلك رفعت لورا بصرها إليها وكأن شيئاً من الخجل ساورها لسلوكها هذا، فرفعت ذراعيها عن المنضدة ثم استقامت جالسة على كرسيها.

قالت كارولين التي شجعها هذا التنازل من لورا نوعاً ما:

ـ والآن أقترح أن نبدأ العمل بأن نتعرف إلى بعضنا بعضاً.. أليس كذلك؟

فهزت لورا كتفيها: «ظننت أنك بتّ تعرفين عني كل شيء».

ـ لا، لا، ما أعرفه عنك قليل جداً يا لورا.

استندت لورا إلى الخلف في كرسيها ثم أخذت تتأمل الفتاة الأخرى بعينين ضيقتين. هي تشبه أباها إلى حد يثير الحيرة. عندما رأتها كارولين تنظر إليها بحذر، شعرت بطعنة ألم خاطفة، لكن لورا ما لبثت أن تكلمت فتلاشت هذه الصورة:

ـ أخبرتك أمس أنك تضيعين وقتك معي يا آنسة دوغلاس. قد يكون بإمكانهم سجني جسدياً ولكن ليس عقلياً.

سحبت كارولين كرسياً جلست عليه وهي تقول: «وهل هذه هي كلمتك النهائية؟»

ـ نعم.

أراحت كارولين مرفقيها على المنضدة ثم أسندت ذقنها إلى يديها: «لا بأس، أرى أن تخبريني ما هي مشاريعك للمستقبل؟»

عقدت لورا حاجبيها: «وما الذي يجعلني أفعل ذلك؟ فأنت لا تهتمين بي».

ـ وما أدراك؟

أحنت لورا كتفيها: «ليس عليّ أن أفسّر الأمر، فأنت مثلهما بالضبط».

تنهدت كارولين: «ألا تظنين أنك أنت من يستبق النتائج؟ جئت الليلة الماضية إلى غرفتي وحاولت إقناعي بأن أقدم استقالتي وكل ذلك بسبب افتتانك برجل...».

ـ ليس افتتاناً.

استعملت كارولين تلك الكلمة عمداً لتثير غيظ الفتاة ونجحت في ذلك لأنها حصلت على انتباه لورا.

تابعت كارولين تقول: «حسناً، مهما يكن، فقد جئت إليّ قبل أن نتقابل أو نتعارف، بقصة عن حبك لرجل سبب افتتانك به هو انتماؤه إلى بيئة ومهنة مختلفتين ثم توقعت مني أن أنحاز إليك».

ـ رجوت كونك صغيرة السن أن تتفهميني.

ـ أتفهمك؟ أتفهم ماذا؟ وماذا هناك لأتفهمه؟ إنك منجذبة إلى رجل لا يوافق عليه أبواك..

ـ لكنهما لم يقابلاه حتى.

ـ ومن أجل ذلك أنت مستعدة للتخلي عن فرصتك في اكتساب ثقافة جيدة.

ـ لقد تثقفت، فأنا في السادسة عشرة وقد اجتزت امتحان الشهادة الثانوية، وكثيرات ممن هن في سني يعملن.

ـ أعلم هذا، ولكن هل ذلك قمة طموحك؟

ـ لا أدري ما تعنين.

ـ ألم يخطر ببالك قط أن كثيرات من هؤلاء الفتيات اللاتي يعملن في سبيل العيش كن يفضلن متابعة تعليمهن، وأنهن على استعداد لاقتناص أية فرصة تسنح لهن لدخول الجامعة؟

ـ تلك مشكلتهن.

ـ هكذا، أنت إذن تشعرين بأنك نلت الكفاية من الدراسة؟

ـ هذا صحيح.

ـ فماذا ستفعلين إذن؟

قالت لورا عابسة: «ماذا سأفعل؟ أظنني سأنتظر حتى أصبح كبيرة بما فيه الكفاية لأفعل ما أريد».

ـ وما تريدينه هو أن تتزوجي هذا المهندس الإرلندي الذي حدثتني عنه؟

لانت أسارير لورا: «أترين أن هذا قد يحدث؟»

www.liilas.com/vb3

ـ وترين نفسك زوجته . . . ؟

ـ إمممم . . .

ـ وأم أولاده؟

ـ إمممم . . .

ـ أليس ذلك طرازاً قديماً للحياة؟

كان في صوت كارولين من التهكم ما جعل لورا تنظر إليها بحدة:

ـ ما الذي تقترحينه؟ أن نعيش معاً بلا زواج؟

ـ حسناً. والداك لا يريدان أن تتزوجي هذا الرجل أما أنت فتريدين، فلماذا لا تفعلين ذلك؟ لماذا تحدثين كل تلك الضجة من أجل أمور شكلية؟

صبغ الاحمرار وجه لورا: «أتعلمين أن أمي ستطردك فوراً إن أخبرتها بما تقولين لي؟»

ـ وما الذي يهمك من ذلك؟ أليس هذا ما تريدينه؟

ـ ألا يهمك أنت هذا؟

هزت كارولين كتفيها: «إن لم يكن لديّ من أعلّمه هنا، فالأفضل أن أذهب».

قلبت لورا شفتيها: لا أفهمك.

ـ لِمَ لا؟ فجلّ ما في الأمر أنني أعبّر عن مشاعرك بالكلمات.

تمتمت الفتاة متجهمة: «ليست مشاعري».

رفعت كارولين حاجبيها: «ليست مشاعرك؟»

بدا واضحاً أن لورا تجاهد في سبيل امتلاك نفسها، وأخيراً قالت: «لا، جون، في الواقع، لم يُقِم علاقة معي . . لأنني . . لم أسمح له».

ـ هل طلب منك ذلك؟

ترددت لورا: مرة واحدة فقط.

تنهدت كارولين بارتياح، لقد نجحت خطتها حتى الآن.

ـ ولماذا رفضت السماح له؟

ـ لا أدري. خفت من الحمل فلو حدث ذلك لقتلني أبي.

ـ إذا أردت أن أصدق أن مشاعرك نحو ذلك الرجل هي حقيقية، فاصغي لما سأقوله.

بدا على لورا الارتياب: «ماذا؟»

ـ حسناً، فلنفترض أنك عندما تصبحين في الثامنة عشرة، ستتزوجين ذلك الرجل، جون. ولنفترض أن والديك لن يعترضا . . ولكنهما رفضا أن يقدما لك أي عون؟

ـ هذا ما تريده، فجوني لا يريد أموالي.

ـ لا بأس. فلنفرض أنكما تزوجتما، فأين ستعيشان؟

ـ لدى جون بيت بعجلات، فهو ينتقل به من مكان لآخر.

كتمت كارولين ذعرها: «وهل أنت مستعدة للعيش في بيت بعجلات؟»

ـ نعم، ولماذا لا؟ فالعديد من الزوجات يسكن في أماكن كهذه.

ـ إمممم . . . ولكن هل لديك فكرة عن راتب المهندس؟

ـ نعم، أخبرني جون.

ـ وهل تدركين أن ما يكسبه جون في عام ينفقه أبوك في يوم.

هزت لورا كتفيها وقالت بلا حماسة: «لا أتوقع أن نكون أغنياء كأمي وأبي».

ـ هذا حسن، لأنكما لن تكونا كذلك. وعلى كل حال، إفرضي حدوث شيء ما، إفرضي أن جون أصيب بمرض أو خسر عمله، فكيف تعيشان؟ وماذا لو كان عندك في ذلك الحين طفل عليك رعايته؟

قالت لورا باستياء: كفى تشاؤماً. لن يحدث هذا إلا إذا كنا في منتهى سوء الحظ.

ـ ولكن قد يحدث هذا للناس، أليس كذلك؟ خصوصاً للعاملين في البناء.

ـ آه، لا بأس، لا بأس، ماذا تريدين أن تقولي؟

ـ ما أريد قوله هو إذا اضطررت يوماً إلى العمل فماذا تفعلين؟ كيف

ستتمكنين من إعالة أسرة؟

قالت لورا وقد أظلم وجهها: «ستتدبر الأمر».

ـ ستتدبرين الأمر بشكل أفضل بكثير لو كان لديك عمل محترم تقومين به، عمل كالتعليم مثلاً.

أراحت لورا ذقنها على قبضتيها وتمتمت هازئة:

ـ كنت أتساءل كم من الوقت تحتاجينه لكي تبرري مركزك هنا.

ـ ليس بإمكانك إنكار حقيقة ما أقول.

ـ أن أصبح معلمة يستغرق وقتاً، سيكون عليّ أن أذهب إلى الجامعة.

ـ أعلم هذا.

ـ أنت تحكمين عليّ بقضاء خمس سنوات أخرى من التعلم.

ـ وما قيمة خمس سنوات من العمر؟ وبجانب ذلك إذا اجتزت عدة امتحانات في الدراسات العليا يمكنك أن تحصلي على وظيفة جيدة دون أن تحصلي على شهادة جامعية، العلاج بالأشعة مثلاً، أو التمريض، إنها مهن مطلوبة على الدوام.

سحبت لورا أنفاساً عميقة وراحت تحدق إلى المنضدة ثم قالت ببطء: «كنت أهتم بالصحافة».

ـ ها قد وصلت إلى ما تبحثين عنه، فذلك شيء يمكنك التفكير فيه.

ـ إنما لماذا لم يسمحوا لي بالبقاء في بوسكومب حيث كنت سعيدة؟

ترددت كارولين ثم قالت بهدوء: «كانوا على حق في ذلك، فقد أبعدوك عن الوقوع في الغواية. أيمكنك أن تنكري أن لقاءك بجون هنا هو أصعب منه في بسكومب؟»

ـ لا، طبعاً. فهما لن يسمحا لي بذلك.

ـ سبق أن اعترفت بأنه طلب إقامة علاقة معك. ألا تظنين أنه سيكرّر مطلبه؟..

رفعت لورا رأسها بغضب: «هذا الأمر عائد لي، فهذه حياتي».

هزت كارولين كتفيها وهي تشبك يديها: «لا بأس إذن، استمري في

طريقك. أهربي مع رجلك الإرلندي فلن أحاول منعك. ولكن لا تستسلمي لخيبة الأمل إذا تحوّل عنك بعدما يسأم من شخصيتك غير الناضجة».

ارتجفت شفتا لورا: «إنك تستمتعين بهذا القول. أليس كذلك؟»

ردت عليها كارولين بحدة: «أنا لا أستمتع بأي من هذا يا لورا. فما أنا سوى مربية ولست عالمة نفسية. بإمكاني الذهاب إلى أمك لأخبرها بأنك لا تريدين التعاون وأدعها تتصرف معك، ولكنني لن أفعل. رأيتك تتذمرين من حظ تتمنى معظم الفتيات اللاتي في سنك لو يقدمن عيونهن في سبيل الحصول عليه، ولكنني تلت عقابي هنا».

هبت واقفة وقد تملكها الغضب ونظرت إلى ملامح لورا القلقة المتوترة، ولكنها رأت ثانية في وجه الفتاة جايمس، وإذا بكل غضبها يتبدد بشكل غريب.

هتفت بقنوط: «أوه، يا لورا! لست عدوتك، بل أنا صديقتك.. ليتك تشعرين بهذا».

ارتجف ذقن لورا: «ليس لي أصدقاء في هذا المنزل».

هوت كارولين على كرسيها بعنف: «لقد أصبح لديك صديقة الآن، فماذا ستفعلين؟»

بدرت عن لورا آهة عميقة: «إذا.. أقول إذا فقط.. إذا قررت العودة إلى دراستي، فهل ستساعدينني على رؤية جون أحياناً؟»

فوجئت كارولين بهذا السؤال ولكنها استطاعت إخفاء ذلك، فازدردت ريقها بشيء من الصعوبة وأخيراً قالت: «إذا اجتهدت في دراستك، وإذا أثبتّ لي أنك جادة في ذلك، فسأتوسط لك عند والديك».

سكتت لورا عدة لحظات، ثم قالت: «وإن لم يوافقا؟»

ـ لا تتحدثي عن والديك بهذه اللهجة، وكأن هنالك طرفين في هذا الأمر. فوالداك كلاهما يريدان لك الأفضل.

ـ أنت لا تعرفين أمي.

اعتدلت كارولين في جلستها ثم قالت باختصار: «ولا أعرف أباك أيضاً،

ولكن هذا خارج عن الموضوع».

قالت لورا متأملة: «ولكنك عرفت أبي، أليس كذلك؟»

أجابت كارولين باختصار: «كنت أعلم ولدي صديق لأبيه أثناء إجازتي الصيفية وذلك منذ عدة سنوات».

تفرست لورا فيها مفكرة: «ولكنه ناداك باسمك كارولين، هل عرفته معرفة وثيقة؟»

استطاعت كارولين أن تخفي تغير لونها ببالغ الجهد:

ـ لا بالتأكيد، فقد قابلته مرتين أو نحو ذلك فقط.

ـ من الغريب أن يتذكر اسمك فوراً، أليس كذلك؟ كارولين...

نطقت بالاسم بالطريقة التي لفظها بها أبوها، ثم عادت تقول وهي تراقب كارولين بعناية: كان في لهجته نوع من.. العذاب، أليس كذلك؟ وكأنك كنت آخر شخص يود رؤيته.

ارتسمت على شفتي كارولين ابتسامة باهتة، ومع أن كلمات الفتاة أزعجتها بشكل بالغ فقد قالت لها بمرح: «إنها تخيلات يا لورا. والآن هل اتفقنا؟»

تنهدت لورا مرة أخرى: «ربما نعم، وربما لا. ربما علينا أن نجرب الأمر فترة من الزمن ونرى ماذا سيحدث».

ـ أنا مستعدة للموافقة على ذلك.

فشخرت لورا بازدراء قائلة:

ـ ولم لا؟ ليس لديك ما تخسرينه.

* * *

LOVE_Shades
www.liilas.com/vb3

٤ ـ اعتذر لي

خرجت كارولين من مطعم «كوش إند هورس» ونظرت إلى شارع فينبورن الرئيسي الهادىء، لم يكن هناك سوى القليل من المارة في مثل هذه الساعة من بعد الظهر. لقد أعطوها اليوم عطلة لم تكن تتوقعها، فقد ذهبت ديبوراه بوث إلى لندن في ذلك الصباح ثم في الطريق أنزلت لورا في منزل جدها. أما كارولين فقررت أن تسير مشياً إلى القرية لتتذوق الطعام في «كوش اند هورس».

كان صعباً عليها أن تصدق أنه مرّ الآن أسبوعان على وصولها إلى منزل «ميتلاندس»، كما لم تصدق أن بإمكانها العيش في منزل مع ثلاثة آخرين دون أن ترى أحداً منهم إلا نادراً. هي ترى لورا بالتأكيد، وكانت مسرورة جداً للتقدم الذي حققته معها. ولكنها لم تكن ترى أياً من الزوجين تقريباً.

كانت كارولين وتلميذتها تتناولان غداءً خفيفاً في الغرفة الصباحية، ومع أن ديبوراه تتناول الغداء أيضاً إلا أنها لم تشاركهما قط تلك الوجبة. أما العشاء فكان يقدّم إليها في غرفتها. وهذا يعني أنه لم يحصل بينها وبين جايمس أي اتصال مهما كان نوعه، وهذا ما أشعرها بالرّاحة.

وأثناء عطلة الأسبوع التي تتعطل فيها الدروس، كانت وجبات الطعام تقدم إلى كارولين في غرفتها وهذا ما جعلها تقرر القيام ببعض الترتيبات للخروج وإلا اختنقت.

كانت واقفة تستمتع بالشمس على ذراعيها العاريتين، عندما برزت سيارة من خلال الضباب الصيفي الذي يلف شارع القرية ووقفت أمام المطعم. إنها سيارة فارهة خضراء اللون صُمم شكلها للسرعة وللراحة في آن.. ولكن

كارولين سبق أن رأت هذه السيارة متوقفة أمام المنزل «ميتلاندس» وهذا بعث الذعر إلى قلبها.

ـ آنسة دوغلاس؟

كان هناك رجلان يخرجان من السيارة، أحدهما أسمر ضامر الجسم يرتدي ثياباً أكثر بساطة مما اعتادت رؤيتها عليه: سروالاً من الجينز وقميصاً نصف مفتوح، أما الرجل الآخر فيماثله بالملابس ويقاربه طولاً، ولكنه ذو شعر يميل إلى الاحمرار وشارب متدلٍ.

جعلتها تحية جايمس تقف بشكل آليّ، فارتدت لتواجه الرجلين على كره بالغ منها. ولكنها كانت تشعر بالخجل لأنها ترتدي سروالاً من الجينز رقيقاً وقميصاً بلا أكمام، بينما شعرها مكوم على قمة رأسها وقد تدلت منه خصلات على رقبتها وحول أذنيها. لم يكن هذا لباس مربية ولكنه يوم عطلتها.

أجابت بأدب وقد بدا عدم الاهتمام والبرودة على ملامحها: «مساء الخير، يا سيد بوث».

كانت واعية إلى أن رفيقه ينظر إليها متأملاً، فارتسم في عينيها نوع من السخرية وهي تفكر بمرارة أنه سبق لها أن خبرت مثل هذا الوضع. المربية تجذب صديق العائلة فيلاحقها بشهواته! لكنها باتت قادرة على معالجة كل الأوضاع المتعلقة بالرجال تقريباً.

نظر جايمس حوله وقال مقطباً جبينه: «أين غروم؟ المفروض أن يحضرك إلى القرية».

ـ لا، لم يقلني لأنه اصطحب زوجتك إلى المدينة، أما أنا فجئت إلى هنا مشياً.

ـ مع لورا؟

ـ لا.. أعتقد أن لورا تمضي النهار مع والديك.

ازداد تقطيب جايمس: «هل مشيت كل هذه الطرق الريفية؟ كنت عرضة للمعاكسات».

ـ ولكنني لم أتعرض لذلك.

أدركت كارولين أن حديثها مع جايمس لا يليق بموظفة.. ولكنها لم تستطع تجنب ذلك، فخوفه عليها من المعاكسات أمر يدعو إلى الضحك.

قال جايمس باقتضاب وهو يرمق رفيقه بنظرة مختصرة:

ـ حسناً، سنعيدك نحن. آه، أقدم إليك الآنسة دوغلاس مربية لورا، يا كليف.

سكت ثم نظر إلى كارولين قائلاً: كليف لستر.

فقال كليف لستر وهو يصرّ على مصافحتها: «كيف حالك آنسة دوغلاس؟ كنا على وشك إطفاء عطشنا هنا.. فهل لك أن تنضمي إلينا؟»

ـ آه، لا شكراً.

رفع كليف حاجبيه: «ولِمَ لا؟ أليس من حسن الأخلاق أن تتناول مربية المرطبات مع مخدوميها؟ حسناً، سيكون ذلك على حسابي.. فما رأيك؟»

قال جايمس باقتضاب: «ربما لدى الآنسة دوغلاس رغبة في الذهاب للتسوّق قبل أن تعود إلى المنزل».

ولكن رفض جايمس وليس دعوة كليف هو ما أثار شيطان العناد في داخل كارولين، فقالت بحذر وهي ترمق كليف من خلال أهدابها: «لا، ليس لدي ما أشتريه من السوق».

سمعت جايمس يجذب نفساً سريعاً، ولكن كليف لم ينتبه إلى شيء لحسن الحظ، وقال يستعجلهما: «هيا بنا إلى الداخل، إذن».

كان المطعم خالياً تقريباً.. أجلسهما كليف على مقعد قريب من مقعده. لقد دعاها كليف على نفقته الخاصة، وإن لم يعجب ذلك جايمس فليس في وسعه القيام بشيء لأن لا سلطة له على أوقات فراغها.

قال لها كليف: «كنا في نزهة في النهر عند «هاولوك»، ألم تقومي بالتجذيف قط آنسة دوغلاس؟»

أجابت وهي تنقل نظراتها إلى جايمس الذي كان ينظر إلى الفضاء بذهن شارد: «كان لديّ ذات يوم صديق يملك زورقاً، فذهبنا معاً عدة مرات».

أومأ كليف: «وهل استمتعت بذلك؟»

هزّت كارولين كتفيها: «لا بأس بذلك، ذلك وقف على شخصية الشخص الذي تبحر معه».

ضحك بصوت خافت، ولكنها وهي تنظر في كأسها كادت تحس بالعداء ينبثق من الرجل الواقف خلفه.

قال كليف وهو يهز رأسه: «لم أعرف قط امرأة استطاعت أن تصبح مجذفة جيدة».

قالت كارولين متعمدة: «ألا تجذف زوجتك بك؟».

عاد كليف يضحك مرة أخرى: «زوجتي؟ ليس لديّ زوجة، آنسة دوغلاس».

أردف وهو ينظر في عينيها متحدياً: «هذا لا يعني أنني كرست نفسي للعزوبية.. كل ما في الأمر أنني لم أقابل امرأة رغبت فيها أو رغبت هي بي».

رأت كارولين أنهما سارا شوطاً طويلاً في هذا الاتجاه، فغيرت الموضوع: «ما أجمل أن تقوم بنزهة في زورق ساعة تريد».

قال كليف عابساً: «لا ننتهي جميعاً من أعمالنا الساعة الخامسة كما تعلمين».

واجهته ساخرة: «آه، أنت موظف إذن؟»

ـ هذا مؤكد أنا أعمل في تصريف البضائع. قد تريني أتصرف كالفراشة، ولكنني حتماً نحلة».

ـ هل يمكنني الحصول على ما تقوله مكتوباً يا كليف؟

ألقى جايمس عليه هذا السؤال رغماً عنه تقريباً، ولكن بلهجة تنطق بالهزل المكبوت، فقال له كليف وهو يلكمه بقبضته مازحاً:

ـ ظننتك أقسمت على الصمت يا رجل. هل تريد كوباً آخر؟

ـ لا، شكراً.

قال جايمس ذلك وهو ينهي كوبه.

خرجوا جميعاً إلى أشعة الشمس مرة أخرى، وصعدت كارولين إلى سيارة جايمس بشيء من التردد، ولكنها لم تستطع القيام بغير ذلك لئلا تبدو

غير مهذبة. جلست في المقعد الخلفي أما الرجلان فصعدا إلى المقعد الأمامي.

كانت نوافذ السيارة مفتوحة أثناء سيرها لذا سرعان ما حلت الريح شعر كارولين فانسدل على كتفيها وأخذ يتطاير حول وجهها. وكانت تبعده بيدها عندما واجهت عيني جايمس تنظران إليها من خلال مرآة السيارة. حولت نظراتها على الفور رافضة أن تشعر بالرهبة إزاء البرودة في نظراته. لاحت أمامهما بوابة المنزل، ولكن كارولين دهشت وهي ترى السيارة تجتازها كما بدت الدهشة على كليف أيضاً.

قال جايمس: من الأفضل أن أنزلك أنت أولاً يا كليف فلديّ بعض الأعمال في المنزل لذا لا يمكنني البقاء معك. أبلغ اعتذاري لوالدتك من فضلك.

كان كليف لستر، كما يبدو، يسكن على مقربة في منزل أنيق من طراز العهد الجورجي. وعندما وقفت السيارة في طريق المنزل اتكأ على النافذة بعد نزوله من السيارة وقال بمودة: «لا بأس يا صديقي. أراك مساء الأحد على كل حال، لقد دعتني ديبوراه إلى العشاء».

وتحوّلت عينا كليف إلى كارولين، إلى منظرها الذي اكتسحته الريح.

ـ وداعاً آنسة دوغلاس، سررت بمعرفتك.

فابتسمت له كارولين، وإذ شعر كليف بفروغ صبر جايمس استقام في وقفته فانطلقت السيارة مبتعدة.

توقعت كارولين من جايمس أن يقول شيئاً وذلك حالما أصبحا بعيدين عن مرمى السمع، ولكنه لم يفتح فمه بل ركز كل انتباهه على القيادة، وبعد دقائق ضغط على بوق السيارة للبواب حتى يفتح بوابة المنزل. ودخلت السيارة ثم أبطأت ووقفت أمام الشرفة الأمامية.

فتحت كارولين باب السيارة وترجلت منها قبل أن يتمكن جايمس من القدوم نحوها ليساعدها على النزول.. بعد ذلك صعدا درجات الشرفة معاً إلى الباب حيث تقدمته كارولين إلى الردهة شاعرة بشيء من الراحة، ولكنها

كانت قصيرة الأمد.

قال بلهجة رسمية متكلفة: «رافقيني إلى مكتبي من فضلك».

ثم أشار إلى مدبرة المنزل التي برزت عند دخولهما بأنه ليس بحاجة إليها.. ولم يكن أمام كارولين من خيار سوى الطاعة.

لم يسبق لكارولين أن دخلت إلى مكتبه الذي يقع في نهاية ممر ضيق في الجهة الخلفية من المنزل وهي الغرفة الوحيدة التي أخبرتها لورا بأن دخولها ممنوع حتى عليها..

تبعته إلى مكتبه بشيء من التحدي غير ملقية بالاً إلى أناقة الغرفة.. السجادة البنية اللون، الكراسي المكسوة بجلد الحيوانات والمكتب المكسو سطحه بالجلد، ولكنها عن غير وعي وقفت مستندة إلى حافته وقد عقدت ذراعيها وبدت الحدة في نظراتها.

أغلق جايمس الباب ثم استند إليه لحظة قبل أن يعود فينتصب واقفاً ثم يتحرك في الغرفة. بدا أصغر سناً بهذه الملابس البسيطة التي كان يرتديها، ولكن بدا على جسده مظهر التوتر. عندما أخذت تختلس النظر إليه، عادت اليها ذكريات مطاردته لها طوال فصل ذلك الصيف، وكان من السهل استرجاع تلك الذكريات، ففي تلك الفترة ثابر على الخروج وتناول الطعام معها والتحدث اليها وممازحتها بالنسبة الى احلامها ومثلها العليا. وعندما أصبحت اخيراً بين ذراعيه، كان هو الرجل الوحيد الذي بادلته المشاعر، ولأجله لم تسمح قط لرجل، بعد ذلك، بالاقتراب منها. لقد استغرق الأمر بعض الوقت، عدة أشهر في الحقيقة، قبل أن تدرك أن ليس في نيته الطلاق من زوجته والزواج منها... وها هوذا الآن يقف بجانب المكتب، وإذ أخذ ينظر إليها، قال بصوت غاضب منخفض: «إياك أن تفعلي هذا بي مرة أخرى».

أرغمت كارولين نفسها على التظاهر بهدوء كانت بعيدة عنه وهي تقول: «أفعل ماذا.. يا سيد بوث؟»

أخذ عرق ينبض في فكه وانقبضت يداه: «أنت تعلمين ماذا أعني؟ إن كليف لستر هو صديق لي. فلندع الأمر عند هذا الحد، أليس كذلك؟»

فاتسعت عينا كارولين بسخرية: «وكيف بإمكاني القيام بالعكس يا سيد بوث؟»

فتمتم يقول بعنف وهو يشيح بوجهه عنها تقريباً: «كفى مخاطبتي بلقب السيد بوث».

فسألته بصوت خفيف: «وبما تريدني أن أخاطبك؟ جايمس؟ لا أظن زوجتك سترضى عن ذلك».

أحنى كتفيه بشكل انهزامي: «أظن الوقت قد حان لمناقشة هذا الأمر».

فتصلبت كارولين في وقفتها: «ماذا بالضبط؟»

ـ لا تراوغي يا كارولين. هل تعمّدت القيام بذلك؟ أعني القدوم إلى هنا؟

ردّت عليه بحدة واختصار: «لا، لم أتعمّد المجيء.. لقد منحتني الوظيفة صديقتك السيدة بروفيشر..».

ـ آيرين بروفيشر ليست صديقتي.

ـ لا بأس... صديقة زوجتك إذن. ما أعلمه أنهم منحوني الوظيفة من أجل ابنتهم، وما كان يدريني أن زوجتك وراء ذلك؟

سحب جايمس نفساً عميقاً: «فهمت. لقد تكهنت بكل هذا بالتأكيد».

التهبت عينا كارولين غضباً: «ما أحسن ظنك هذا! ما كان لي أن أقبل وظيفة في بيتك».

لم يجب جايمس على هذا إلا بتوتر خفيف في شفتيه ثم قال بكآبة: «ولكنك بقيت هنا».

ـ نعم. لم يكن أمامي خيار آخر، لأنني أنفقت نصف الأجر الذي نقدتني إياه السيدة فروبيشر مقدماً.

التفت جايمس إليها عابساً ثم تمتم قائلاً: «ما دمت مفلسة إلى ذلك الحد فلماذا لم تطلبي مني أن أعطيك المبلغ؟».

ـ آه، نعم، ولو طلبت المال منك ماذا كنت ستفعل؟ تعطيني النقود لأردّها إلى زوجتك؟ لا أدري بأي شرط توقعت أن يكون الدفع!

حدّق جايمس إليها بمرارة ثم قال بفظاظة: «يا لك من ساقطة».

قالت معتذرة على كره منها لأنها شعرت فجأة بأنها تصرفت بشكل صبياني نوعاً ما: «أنا آسفة، كل ما في الأمر.. أنك أغضبتني».

رفعت بصرها إليه رغماً عنها فتحركت مشاعرها بسبب قربه منها كما لم يحدث معها من قبل.

تمتم بصوت مرتجف: «آه يا كارولين، ما الذي جعلك تعودين إلى حياتي بحق الله عليك؟»

ابتعدت كارولين عنه جاعلة المكتب بينهما، ثم قالت بثبات: «لم أعد إلى حياتك يا جايمس. أنا هنا من أجل ابنتك ليس إلا.. أما مسألة تعارفنا فأمر غير مهم البتة».

تجهم وجهه: «أحقاً هو كذلك؟»

ـ ربما كان الأمر كذلك، حدث ذلك منذ ست سنوات، ومنذ ذلك الحين تغيرت فقد نضجت أكثر. عندما عرفت أنك ستكون رب عملي.. حسناً، أعترف أن أول ما خطر لي هو الرحيل، ولكن بعدما قابلت لورا...

ازداد عمق الخطوط حول فمه: «نعم، لقد انسجمت مع لورا بشكل جيد».

ـ أحاول ذلك.

ـ وهذا ما أخبرتني هي به.. إنها تحبك.

ـ شكراً.

تخللت أصابعه في شعره: «لا تشكريني، ليتها كرهتك إلى أبلغ حد!».

ذهلت كارولين لأنه ما زال قادراً على إيلامها بسهولة. قالت: أنا آسفة.

قال بعدم تصديق: أحقاً، أحقاً أنك آسفة؟ ألا تهتمين حقاً برأيي فيك؟

رفعت كارولين رأسها: «لا».

سقطت يدا جايمس إلى جنبيه، ثم نهالك على إحدى الكراسي، ووضع ساقاً على ساق متعباً: «لا بأس، يمكنك الذهاب».

ـ نعم يا سيد بوث.

لم تعرف كارولين ما الذي جعلها تسخر منه بهذا الشكل، ولكن عندما

اجتازت الغرفة متجهة إلى الباب، كان عليها أن تمر بجانب كرسيه، وإذا بيده تمتد لتقبض على معصمها بأصابعه القوية.

قال من بين أسنانه محذراً: «لا تفعلي ذلك، يا كارولين».

عندما نظرت إلى عينيه تملكها شيء من الخوف ولكنها لم تشأ أن تدعه يرى ذلك، فقالت: «ما الذي عليّ عدم فعله يا سيد بوث؟».

تنهد جايمس ثم نظر إلى المعصم الرشيق الذي يمسك به: «إن إدراكي بأنك هنا في البيت، ليس أمراً بسيطاً. سواء أصدقتني أم لم تصدقي، فأنت المرأة الوحيدة التي رغبت فيها في حياتي. فلا تغريني على القيام بما قد تندمين عليه».

عند ذلك أطلقها، فأبعدت معصمها عنه بعنف وقد ثار غضبها: «كيف تجرؤ على مثل هذا القول لي؟ ما الذي جعلك تظن أنني لن أذهب إلى زوجتك وأخبرها أي حقير أنت؟»

هز جايمس كتفيه، قائلاً: «إذا كان هذا ما تريدينه، فلن أمنعك».

نظرت إليه بقنوط: «ألا يهمك هذا؟»

ضاقت عيناه: «فلنقل إنه عمل غير صائب حالياً».

تحولت كارولين إلى الباب لأنها لا تريد المضي في هذا الحديث، ولكن صوته أوقفها: «هل كان هنالك... هل هنالك شخص آخر؟»

ارتدت إليه بعنف: «ليس لديك الحق في توجيه هذا السؤال إليّ».

ـ ولمَ لا؟

ـ إنه شيء لا يعنيك.

ـ آه، دعك من هذا، يا كارولين. كنا، أنا وأنت، عاشقين ذات يوم..

ـ إنك مغرور بنفسك.

ـ لا، هذا غير صحيح. حسناً، تقولين إن هذا انتهى الآن، ولكن ذلك لا يمنعني من التفكير فيك متسائلاً عما إذا كان هناك شخص آخر قد دخل قلبك البارد.

مدت كارولين يدها إلى قبضة الباب وقالت بازدراء:

ـ في الواقع، دخل قلبي عدة أشخاص وإن كان يهمك أن تقرأ فسأدعك تقرأ دفتر مذكراتي. إنما لا تحاول أن تخبرني بما عليّ أن أفعل يا... سيد بوث.

كانت قد فتحت الباب قبل أن يتمكن هو من النهوض عن كرسيه، ولكن هذا لم يمنع قلبها من الخفقان بعنف ورأسها من الدوار ثم ازداد شعورها هذا وهي ترى مدبرة المنزل واقفة في الخارج. ظنت في البداية أن المرأة تسترق السمع، ولكن عندما أخذت تحاول تمالك أعصابها، بددت مدبرة المنزل اعتقادها هذا بقولها بصوت مضطرب: «آه، آنسة دوغلاس، هنالك شاب يريد رؤيتك».

وعندما برز جايمس خلف كارولين، هتفت وهي ترفع بصرها إليه وقد احمر وجهها: «إنه ينتظر بالخارج، هل أسمح له بالدخول يا سيدي؟»

رأت كارولين مظهر العداء الذي بدا على وجه جايمس. أرادت أن تبتعد عنه ولكن السيدة فرنتش كانت أمامها تسدّ عليها طريق الهرب.

سألها جايمس بهدوء: «من هو القادم يا سيدة فرنتش؟»

حرّكت المرأة كتفيها بشكل غير عادي قائلة: «شخص يدعى السيد موني، يا سيدي».

فغرت كارولين فاها ذاهلة أما جايمس فسأل المرأة بهدوء ينذر بالشر: «هل قلت السيد موني؟»

ـ نعم يا سيدي. هل يمكنني إدخاله إلى المكتبة يا سيدي؟

نظر جايمس إلى كارولين بغضب ثم سألها: «هل كنت تنتظرين زائراً؟»

قالت كارولين ساخطة: «لا، لم أكن بانتظار أحد، لا أعرف أي شخص يدعى موني».

قال جايمس بلا حماس: «بل أظنك تعرفين».

نظر إلى مدبرة المنزل: «حسناً جداً يا سيدة فرنتش، أحضري السيد موني إلى غرفة المكتبة».

ـ نعم يا سيدي.

ابتعدت السيدة فرنتش أما كارولين فوقفت تحدق إلى مخدومها. أخذ جايمس يحدق لحظة إلى وجهها المسناء ثم سحب نفساً عنيفاً وقال بصوت فظ:

ـ لا بأس، ما الذي يعنيه جون موني بالنسبة إليك؟

شهقت كارولين: «لي؟ أنا لا أعرفه حتى، سبق أن أخبرتك بذلك».

ـ وهل تتوقعين مني أن أصدقك؟

فردت عليه بحدة: «لا يهمني ما تصدق، فأنا لا أعرف جون موني. وإنما سمعت باسمه فقط، وأنا أعرف ما تفكر فيه إنما لا صلة لي بهذا الرجل».

انكمشت يدا جايمس، ثم دسهما في جيبي بنطلونه الأماميتين وهو يسألها: «أتنكرين أنك دعوته للحضور إلى هنا لرؤيتك حين علمت أنه لن يكون في المنزل أحد؟»

نظرت كارولين إليه بعدم تصديق: «أهذا ما ظنه؟».

انتقل جايمس من مكانه بضيق، ثم قال غاضباً: «وما المفروض أن أظنه سوى ذلك؟ يا إلهي لقد جعلتني أعتقد أن وجودك هنا محض مصادفة؟»

سحبت كارولين نفساً عميقاً وقد ساورتها الرغبة في أن تصعد إلى غرفتها حيث تجمع حاجياتها وتترك هذا المنزل إلى الأبد، وليرفعوا عليها قضية لتحصيل نقودهم إذا شاؤوا فلن تهتم لذلك. ولكن شيئاً ما، شعوراً ما رفضت الاعتراف به، لم يسمح لها بالاستسلام بهذه السهولة.

قالت وهي تغرز أظافرها في راحتيها: «هل لك أن تصغي إليّ؟ لم أدع هذا الرجل موني إلى هنا اليوم، بل لم أكن أعلم أنني لن أشتغل هذا النهار. لقد أخبرتني زوجـ.. زوجتك، بعد الفطور، أنهما هي ولورا ستخرجان».

ردّ عليها ببرودة: «هنالك تليفون»

ـ نعم، هنالك تليفون، ولكنني لم أستعمل التليفون، إسأل السيدة فرنتش. لقد تناولت الغداء في القرية.

ـ كان بإمكانك الاتصال تليفونياً من هناك.

تمالكت كارولين أعصابها بجهد: «ولماذا عدت أنا إذن إلى هنا؟ ولماذا

لم أتدبّر الأمر لألاقيه في القرية؟».

ـ لأنني أصررت على إحضارك إلى البيت.

قالت كارولين تفسر الأمر بسخرية: «آه، نعم، وأنا حيث أنني كنت أعلم بأنك ستكون هنا، كنت أرجو أن يأتي إلى هنا. هل يبدو هذا منطقياً لديك؟»

أطال جايمس التحديق فيها مفكراً، ثم قال:

ـ لماذا جاء إلى هنا إذن؟ ولماذا طلب مقابلتك؟ وما أدراه باسمك؟ إلا إذا.. إلا إذا...

قالت تحثه على الكلام وهي تحملق فيه: «إلا إذا...».

تمتم جايمس متمتماً: «إلا إذا كانت لورا وراء ذلك كله».

تنهدت كارولين قائلة: «لورا؟ لم يخطر لي ذلك ببال».

هزّ جايمس رأسه بفروغ صبر: «ولا أنا.. يا إلهي، إن كانت وراء هذا، فسوف.. سوف..».

قالت كارولين بجفاء: «ستعتذر إليّ».

ـ طبعاً، إذ أسأت الحكم عليك.. الأفضل أن أقابله بنفسي.

ـ لا.

أعاد رفض كارولين الفوري إلى ملامحه أثراً من شكوكه السابقة، أما هي فتوسلت إليه بقولها: «أرجوك دعني أقابله. لقد طلب مني مقابلته على كل حال».

عقد جايمس حاجبيه: «إذا كانت هذه حيلة..».

نسيت كارولين لحظة الاحتفاظ بالحاجز بينهما، واندفعت تضع يدها على ذراعه فشعرت بتوتر عضلاته تحت أصابعها: «أواه، يا جايمس، امنحني ثقتك».

نظر إلى أصابعها على ذراعه فشعر بلحمه يتحول إلى جمر تحت لمستها، لكنها ما لبثت أن أنزلت ذراعها وارتدت خطوة إلى الخلف، إنما ليس قبل أن تلمح العذاب الذي بدا في عينيه.

قال بصوت خشن: «أنا أثق بك يا كارولين، ولكن لا تثقي بي».

ودون كلمة أخرى ارتدّ عائداً إلى مكتبه ثم أغلق الباب.

***

وجدت الشاب واقفاً عند النافذة ينظر منها إلى الطريق أمام المنزل، ولكنه ارتدّ إليها حالما دخلت.. رأته كارولين مختلفاً كلياً عن الصورة التي رسمتها له في خيالها. لقد كانت مخيلتها وعادة لورا في المبالغة قد خلقتا صورة لشاب قوي العضلات مزهواً وعدوانياً وبالغ الثقة بنفسه.

وإذا بالحقيقة تأتي بشكل مفاجأة، ولكنها ليست مخيبة للأمل تماماً. فجون موني فوق المتوسط طولاً بقليل، جسمه نحيل وشعره بني يميل للاشقرار، بدأ ينحسر عن جبهته. ولكنه بالإجمال رجل جذاب ومن هنا فهمت كارولين سبب افتتان لورا به، ففي ملامحه صفات مميزة وظرف ورقة تركت تأثيرها في كارولين نفسها.

ـ آنسة دوغلاس؟ كيف حالك؟

سمحت كارولين له بمصافحتها ثم وقف أمامها منتظراً واضعاً يديه خلف ظهره.

قالت كارولين: «كيف حالك؟».

كان الصمت الذي ران بينهما غير مريح، فجأة اندفع الاثنان بالكلام في وقت واحد وهذا ما لطف الجوّ، فأخذ الاثنان يضحكان وعند ذلك قال: «هل أردت رؤيتي؟»

شهقت كارولين ذاهلة: «أنا أردت رؤيتك؟»

ـ حسناً، ألم تطلبي ذلك؟

هزّت كارولين رأسها بحيرة: «لا. وما الذي جعلك تظن ذلك؟»

ـ تلقيت خبراً منك.

ـ خبر؟ وكيف ذلك وأنا لم أرسل أي خبر؟

أخذ موني يحدق إليها متشككاً ثم قطب جبينه:

ـ هل أنت واثقة؟ هل قالت لك لورا شيئاً بهذا الخصوص؟

قالت كارولين محاولة التذكر: «لا، لا.. أرجوك.. أخبرني عن ذلك

الخبر، من أوصله إليك؟»

ـ تلقيت اتصالاً هاتفياً في البناء الذي أعمل فيه.

ـ وفي الخبر أن تأتي إلى هنا لرؤيتي؟

ـ نعم، لم أفهم سبب ذلك.. ولكنني ظننت.. حسناً، أخبرتني لورا أنك لا تقفين ضد صداقتنا كلياً.

ازداد تقطيب كارولين: هل أخبرتك لورا بذلك؟ وكيف تخبرك وهي لم ترك؟ أم لعلها رأتك؟

ـ نحن نتكلم تليفونياً أحياناً ونتراسل بريدياً. من المؤكد أن لديك اعتراضاً على ذلك.

فقالت بفروغ صبر:

ـ ليس الأمر أمري كي أعترض على أي شيء، فلا يتعلق هذا بي. آه، لا أدري. دعني أفكر، أتظن أن لورا هي التي رتبت أمر هذا الاجتماع بيننا؟

فهز كتفيه وهو يتنهد: «لا تسأليني فلا أظن ذلك. إذن فقد كانت رحلتي هذه عبثاً، أليس كذلك؟»

ـ حسناً، ما هي نتيجتها برأيك؟ وماذا تتصور أن بإمكاني القيام به من أجلك؟

ـ ظننت أنك رتبت لقاءً لي معها.. لكي نمضي بعض الوقت معاً. ويبدو أنني كنت مخطئاً.

تنهدت كارولين التي شعرت بالعطف عليه.

قالت: حسناً، أنا آسفة. ولكن مهما يكن الشخص الذي أرسل إليك الرسالة، فهو ليس أنا. ولورا ليست هنا، إنها تمضي النهار مع جديها.

وضع يديه في جيبيه: «آه، هذا عظيم. أظن عليّ أن أقول إنني آسف على إزعاجك».

عضت كارولين شفتها: «لا بأس في ذلك».

سار نحو الباب ثم عاد فتوقف: «لا أظن..».

سكت برهة ثم عاد يقول: «جئت إلى هنا على دراجتي البخارية، وهي

هناك عند غرفة البواب الذي لم يسمح لي بركوبها إلى باب المنزل. لا أظنك ترفضين أن تتمشي معي إليها؟»

بسطت كارولين راحتيها وقالت باسمة: «لا أرى ما يمنع ذلك. من المؤسف أن تأتي على دراجتك البخارية فمبقدورنا التمشي إلى القرية معاً. أحب أن أتحدث إليك عن لورا».

ـ لكي تعرفي أي فلاّح جاهل أنا.. أليس كذلك؟

لم تجفل كارولين: «إذا شئت».

ابتسم فجأة: «يمكنني أن أحملك على الدراجة إذا شئت، فأنا أحتفظ بخوذة احتياطية».

ترددت كارولين، السير معه إلى القرية شيء وركوب الدراجة معه شيء آخر. وماذا سيظن جايمس؟

ولكنها أنّبت نفسها بغضب: وماذا يهمها مما سيظنه جايمس؟ هل سبق له قط أن اهتم بما تفكر هي به؟ وبجانب ذلك، فالأمر كله في منتهى البراءة. وإذا أراد أن يسيء الظن فذاك شأنه!

وإذ أدركت أن موني ينتظر جوابها، قالت: «حسناً، لا بأس. يمكنك أن تأخذني إلى مكان ما لنتحدث فيه على ألا يكون بعيداً».

أومأ قائلاً: «هذا حسن. والآن هل يمكننا الخروج أم علينا أن نأخذ إذناً بذلك؟»

قالت ضاحكة: «بل نخرج، إتبعني».

لم يكن مكتب جايمس يطل على طريق المنزل، ولكن كارولين لم تكن مقتنعة بأنه لم يكن يراقب ما انتهى إليه لقاؤهما. أو ربما السيدة فرنتش، ولا شك أن المطلوب منها أن تخبر سيدها.

لم تركب كارولين دراجة بخارية من الخلف منذ سنوات.. منذ أيام الدراسة. ولكنها وجدت ذلك ممتعاً في عصر هذا اليوم الدافىء.. وسرعان ما أخذ شعرها يتطاير ويتشابك فبدا عسلياً ذهبياً قبل وصولهما طريقاً ضيقاً ينتهي إلى ساحة معشوشبة تحف بضفة النهر الذي كان يلتوي عند هذه النقطة

مشكلاً بحيرة طبيعية، وكانت هذه البقعة منعزلة كلياً.

نزلت كارولين من الدراجة وخلعت خوذتها. قالت له: يبدو أنك تعرف هذه الأنحاء أكثر مما أعرفها.

ثبت موني الدراجة في مكانها ثم خلع خوذته ومر بيده على شعره وهو يقول: «أرتني لورا هذا المكان الذي اعتادت القدوم إليه مع أبيها العجوز في صغرها. البحيرة تلك عميقة وقد اعتادا أن يسبحا فيها».

جلست برشاقة على العشب وقالت: «حسناً، إنه مكان رائع».

ألقى بنفسه قربها وراح يملي ناظريه من الصورة الجميلة التي بدت فيها.

قال: «إممم... رائع حقاً. ما الذي جعلك تصبحين مربية؟»

التفتت كارولين تنظر إليه: «لسنا هنا لنتحدث عني».

استلقى إلى الخلف عاقداً ذراعيه خلف رأسه:

ـ لا بأس، ما الذي تريدين معرفته؟

تنهدت كارولين وهي تضع ساقاً فوق الأخرى: «ربما هناك فائدة فيما لو.. لو فهم كل منا الآخر».

رفع بصره إليها وقد ضاقت عيناه: «وما الذي يهمك من ذلك؟ فأنت لا توافقين على أية علاقة لي مع لورا، أليس كذلك؟»

ـ أنا.. لا أقول هذا.

ـ لا تقولين؟

ـ لا، اسمع أنا أحب لورا كثيراً وهي السبب الوحيد الذي يجعلني أمكث هنا.. عليك الاعتراف بأنك تكبرها بكثير، فما زالت تلميذة.

ـ كما إنها من أسرة بوث!

ـ وهذا أيضاً.

أرخى ربطة عنقه: «قد لا تصدقين ما أقول، ولكنني لم أبدأ بهذا. آه، لا أقول أنني قاومت أو ما أشبه ولكن لورا هي التي ابتدأت بإنشاء العلاقة».

سألته بفضول: كيف تعارفتما؟

عند ذلك ابتسم قائلاً: «يمكنك أن تقولي إنها إختارتني، اعتادت

مجموعة منهن التسكع حول مقهى في بورنماوث. وقد ميزناهن عن غيرهن أنا وبعض الأصدقاء لأنهن كن يرتدين الملابس المدرسية».

هزّت كارولين رأسها: «وهل أنت مستعد للانتظار حتى تبلغ الثامنة عشرة؟»

ـ أنتظر؟ أنتظر ماذا؟ أن أتزوجها؟ لن يسمحوا لي قط بالزواج بها.

فتملكت الحيرة كارولين وقطبت جبينها:

ـ هل أنت جاد؟ أم إنها مناورة منك؟

جذب موني نفساً عميقاً: «ليست مناورة وإنما أنا واقعي يا آنسة دوغلاس. تظن لورا أنها مغرمة بي ولكن إذا نجح والداها في التفريق بيننا، فستعثر في النهاية على رجل آخر. رجل مناسب بلا شك».

شهقت كارولين ذاهلة: «إنك لا تحبها إذن؟»

ـ آه، أنا لا أقول هذا. لا، لا أقول هذا. إنني مهتم بها كثيراً، ولكن هذه العلاقة لن تنجح. لقد أخبرتها بذلك.

قالت كارولين التي تقوست كتفاها: «ليتك أخبرت أمها وأباها بهذا».

ـ ماذا؟ وأريحهما من تعاستهما؟ بعد الطريقة التي عاملا بها لورا؟ ولماذا أفعل ذلك؟ سأدع القلق يتملكهما مدة أطول، فلن يؤذيهما هذا أما أنا فلن أقوم بما يؤلم لورا.

لم تستطع كارولين منع نفسها من الضحك. لقد تبدد التوتر الذي كانت تعاني منه طوال العصر كسحابة من الدخان وبدا لها النهار أكثر إشراقاً.

قال لها برفق: «لماذا تضحكين؟ هل قلت ما يضحك؟»

فهزت كارولين رأسها وهي تدس أصابعها في شعرها:

ـ لا، لا في الحقيقة، شكراً لصدقك معي.

ـ ولكنك لن تخبريهم في المنزل بما قلته لك، أليس كذلك؟

بدا على كارولين التفكير قبل أن تقول: «لا، لن أقول شيئاً قد تعرف به لورا. أكره أن أكون أنا من يبدد أحلامها».

نظر موني نحو الأفق عابساً: ما زال أمامها مدة طويلة لكي تنضج.

فتمتمت كارولين بصوت لا يكاد يُسمع: «ألسنا جميعاً كذلك؟».

ثم نهضت واقفة. فرفع بصره إليها بلا حماس: «لا داعي للسرعة، أليس كذلك؟»

تنهدت كارولين: أكره العودة إلى البيت في الوقت الذي تعود فيه لورا من بيت جدها. قد تسيء الظن إن علمت بأمر خروجنا.

نهض موني واقفاً مستجيباً بهدوء: «هذا لا يهمني. ما اسمك؟ كارولين؟ هل بإمكاني أن أدعوك به؟ أنت تعرفين اسمي. قابليني مرة أخرى يا كارولين».

ارتدت كارولين مذعورة: «لا يمكنني القيام بذلك».

فعاد إلى العبوس: «ولِمَ لا؟ لست... مخطوبة، أليس كذلك؟»

ـ حسناً.. لا. ولكن...

ـ ولكن ماذا؟ ما يدرينا بأن علاقتي بلورا ليست سوى خطة وضعها القدر لكي نلتقي أنا وأنت؟

ـ سمعت عن التملق، ولكنني...

بدت الضراعة في عينيه: ما هذا بتملق، صدقيني. لا أعرف الكثير من الفتيات...

ـ لا أصدق هذا!

ـ ليتك تخرجين معي فأنا أشعر بالوحدة أحياناً.

تنهدت قائلة: «لا أستطيع ذلك. أضف إلى هذا أن لورا قد تعلم بالأمر؟»

ـ لن تعلم.

ـ لا، لا.. لا أستطيع.

عندما أدرك جون أنه لن يستطيع إقناعها سار إلى دراجته ووضع خوذته على رأسه ملقياً بالأخرى إلى كارولين. ثبتتها على رأسها، وبعدما صعد إلى مقعده وأدار المحرك، صعدت وجلست خلفه.

ولم يستغرق وصولهما إلى بوابة ميتلاندس سوى دقائق، فنزلت كارولين وهي تشعر بالراحة. راح جون يتحسس شيئاً داخل سترته، وما لبث أن أخرج

بطاقة صغيرة مربعة من الكرتون مد يده بها إليها: «إنها بطاقتي فيها رقم تليفوني في البناء الذي أعمل فيه إن شئت الاتصال بي..».

هتفت قائلة: «ولماذا أفعل ذلك؟»

فقال ضاحكاً: «من يعلم؟»

فتح دودز البوابة باتساع إنش أو اثنين ليمكنها من الدخول. إنه رجل متوسط السن يعيش مع زوجته في هذا المسكن، وكان يعتني بالمروج الخضراء والأزهار. وعندما أغلق البوابة خلفها، مطّ شفته بعدم استحسان وقال: «الآنسة لورا تفتش عنك، لم يعرف من في المنزل إلى أين ذهبت».

قالت كارولين بذعر: «الآنسة لورا؟ وهل عادت؟»

ـ هذا ما يبدو. أحضرها السيد بوث إلى البيت بنفسه.

فقالت وهي تمر بيدها على رأسها: «السيد بوث؟ آه، تقصد السيد بوث الكبير. وهل أخبرت الآنسة لورا إلى أين ذهبت أنا؟»

ـ قلت لها إنك ذهبت مع شاب على دراجة بخارية يا آنسة فأنا أيضاً لم أعلم إلى أين ذهبت.

قالت وهي تصعد: «لا، لا طبعاً. شكراً يا سيد دودز».

وفي منتصف الطريق، رأت لورا تركض لملاقاتها متوردة الوجه ولكن النكد بدا عليها، ثم هتفت تقول وهي تقترب منها: «ها قد جئت! أين كنت؟ وماذا كان يفعل هنا جوني، إنه جوني الذي ذهبت معه، أليس كذلك؟»

قالت كارولين مسرعة في حديثها قبل أن تقاطعها لورا:

ـ نعم، وليتك لم تطلبي منه القدوم إلى هنا أثناء غيابك! لم يكن أبوك راضياً عن ذلك.

أطلقت لورا مشاعرها المكبوتة بصرخة احتجاج: «أنا؟ ولكنني لم أطلب منه القدوم إلى هنا. ما الذي تتحدثين عنه؟»

قالت كارولين التي نجحت في إظهار الدهشة في صوتها: «لم تطلبي منه؟ ظننتك أنت من فعل ذلك؟»

سألتها لورا: «ولماذا أفعل شيئاً كهذا؟»

www.liilas.com/vb3 forbidden shades

ـ حسناً، ظننتك تريدين مني أن أقابله لكي أدرك أي نوع من الشبان هو.

ـ وهل أمكنك ذلك؟

تنهدت كارولين، كانتا قد اقتربتا من الشرفة فرأت سيارة رولز فارهة تقف أسفل الدرجات، فافترضت أنها سيارة روبرت بوث الجد الذي سيعرفها كما سبق أن عرفها جايمس. آه، يا إلهي.. يا له من شرك معقد. ولكنه على الأقل لا يعرف شيئاً عن علاقتها بجايمس.

هتفت تقول: «لا يمكننا أن نتحدث الآن يا لورا. إن جدك هنا أليس كذلك؟ ألا يجب عليك الاحتفاء به؟»

ـ أبي هنا، بحثنا جميعاً عنك فأبي غاضب كثيراً.. ولا أدري لماذا. كان عليه أن يكون مسروراً لأنك ذهبت مع جون. فكري كم سيكون سرورهم عظيماً إذا نجحت في سلب جون مني.

أشارت كارولين إلى سروالها الجينز والقميص وهما تصعدان الدرجات:

ـ أواه، يا لورا. أنظري إلى ملابسي. عليّ تغييرها.. سنتحدث فيما بعد..

ـ أين كنت بحق الله..

كانت كارولين مركزة انتباهها على لورا عندما انهالت عليها هذه الكلمات المفاجئة كدوش ماء بارد. كان جايمس في الردهة يقف منفرج الساقين، عاقداً ذراعيه على صدره غاضب الوجه.

حوّلت كارولين عينيها عنه وهي تبلل شفتيها بلسانها، ثم أخذت تتفحص ما ارتسم على وجه لورا نتيجة ذلك، وقالت آملة أن تجد المساندة من الفتاة: «أنا آسفة لأنني اختفيت بهذه الطريقة يا سيد بوث. وجدت أن من الأسهل أن نتحدث بعيداً عن المنزل».

قالت لورا التي استجابت إلى ضراعة كارولين الصامتة:

ـ هذا صحيح يا أبي، حدثتني الآنسة دوغلاس بكل شيء عن هذا.

ازداد عبوس جايمس: «وما الذي كان يفعله هنا يا لورا؟ ولماذا طلب رؤية.. الآنسة دوغلاس؟»

هزت لورا كتفيها بعدم اكتراث، وأخيراً قالت: «لقد.. طلبت أنا منه المجيء».

فغرت كارولين فاها ذعراً، لأنها لا تريد من لورا أن تذهب بعيداً إلى هذا الحد. عادت نظراتها إلى وجه جايمس، فلم يشجعها ما رأت على ملامحه.

ـ ما الذي يحدث يا جايمس؟

جاء الآن دور روبرت بوث في مقاطعتهم. كان واقفاً عند الباب ينظر إليهم جميعاً بتسلية، إنه رجل وسيم في الستينات من العمر، وهو نسخة أكبر سناً عن ابنه، ولكنه عندما رآها توترت ملامحه المسترخية وأظلم وجهه، وانتقلت نظراته إلى ابنه بعدم تصديق.. أدركت كارولين وهي تراقبه أن روبرت بوث على علم بعلاقتهما.

قال الأب: «من الواضح أن الآنسة دوغلاس لم تتعرض لسوء في خروجها هذا. ليس لدى لورا الحق في دعوة ذلك النذل إلى هنا مهما كان السبب..».

رأت كارولين أن عليها أن تحتج على هذا الوصف فقالت: «ليس نذلاً.. إنه، حسناً، إنه رجل مثقف وهو إلى ذلك ليس صياداً انتهازياً أو أي شيء من هذا القبيل. لقد جاء إلى هنا لأنه... حسناً، لأنه دعي للمجيء ولا أرى ذلك سبباً يجعل أياً كان يمثل هذا الغضب الملتهب».

قالت لورا: «ولا أنا. ليس منكم من يعرف جون، فكيف تحكمون عليه دون أن تعرفوه؟»

رأت كارولين كيف توتر فك جايمس بينما سقطت يداه على جنبيه، ثم قال ببرودة: «حسناً جداً يا لورا. بما أن لدينا رأي الآنسة دوغلاس الخبير، فسنغفر لك سلوكك غير المسؤول هذه المرة. ولكن في المستقبل يا آنسة دوغلاس، أرجو منك أن تخبريني قبل أن تخرجي مع رجل غريب».

ـ نعم يا سيد بوث.

كان الشعور بالسخط لدى كارولين، يماثل شعوره، فأشاح بوجهه فجأة ثم سار عائداً إلى غرفة الجلوس. وأحدث ذهابه صمتاً محرجاً ما لبث روبرت

بوث أن اخترقه بقوله: «سبق أن تقابلنا، أليس كذلك يا آنسة دوغلاس؟ في منزل آل فورستر».

ابتلعت كارولين السخط الذي أحسته تجاه جايمس واغتصبت ابتسامة باهتة: «هذا صحيح يا سيد بوث، حدث ذلك منذ ست سنوات، إنه زمن طويل».

ـ وأنت الآن تشتغلين عند ابني.

لم تكن لتخطىء ما يعنيه بكلامه هذا.

أومأت تقول: «إنه عالم صغير، أليس كذلك؟».

بدا على روبرت بوث عدم التركيز وكأنه لم يكن يتوقع هذا الجواب العفوي ثم قال: «هذا صحيح، إذا سمحت..».

ولحق بابنه إلى غرفة الجلوس، وعندما أغلق الباب خلفه، تنهدت كارولين بصوت مسموع ثم هزت رأسها وسارعت نحو السلم، ولكن لورا لحقت بها:

ـ هل كنت تعنين ما قلته يا آنسة دوغلاس؟ عن... عن جون بأنه رجل مثقف.. وليس صياداً انتهازياً؟

أومأت كارولين على كره منها: «بالتأكيد».

ضغطت لورا براحتيها على وجنتيها وقد بدا عليها السرور بهذا الجواب. ثم عادت تقول: أنا مسرورة لأنك قابلته..

قالت كارولين: «يجب أن أغيّر ثيابي، لورا، اقترب مجيء أمك».

قالت لورا التي انحدرت زاويتا فمها: «آه، نعم. لا أدري ما ستقوله عندما تعرف أن جون كان هنا».

لم تشأ كارولين التفكير في ذلك، فقد خرجت الأمور عن السيطرة في هذا النهار، الذي كان رائع البداية أولاً في مصادفتها لجايمس في القرية ثم حضور جون موني غير المنتظر، والآن تكتشف أن روبرت بوث على علم بالعلاقة التي كانت بينها وبين ابنه... إن هذا لكثير.

ـ أراك فيما بعد يا لورا.

قالت ذلك بحزم أسبغ حدة على صوتها، ولكن الغرام الذي يمتلك تفكير لورا لم يسمح بأن تدع كارولين تذهب دون الإلحاح عليها بالسؤال عمّن دعا جون إلى الحضور إلى البيت.

ولكنها عندما أصبحت في حمى غرفتها، لم تستطع أن تنبذ من ذهنها ذلك السؤال، من الذي أحضر موني إلى المنزل ولأيّ غرض؟ فإن لم تكن لورا الفاعلة فمن غيرها سيستفيد من شيء كهذا؟

دخلت إلى حمامها وفتحت الصنابير سامحة لمزيد من الماء البارد. هزت كارولين رأسها، ربما لن يستطيعوا أبداً معرفة الفاعل. وتنهدت، ما كان أكثر أهمية هو تصرفات جايمس وعدم اكتراثه الجلي بدور والده البريء في كل هذا، ماذا سيكون رأي روبرت بوث فيها؟ ارتجفت وهي تفكر في ذلك.

خلعت ثيابها ونزلت في ماء الحوض مستمتعة ببرودة الماء على جلدها. اضطجعت في الماء لتسمح للرغوة المعطرة بغمر جسدها. ما كان عليها أن تأتي إلى هنا على الإطلاق، ما كان عليها قط أن تسمح لنفسها بالتورط.

في الصباح التالي، تملكت كارولين الدهشة لأن ديبوراه بوث جاءت تزور ابنتها لورا ومربيتها، ولم تأت على ذكر زيارة جون موني. في الحقيقة، بدا على ديبوراه الاستغراق في أفكارها، وبدت في عيني كارولين أكثر توتراً من المعتاد.

بعد ذهابها، قالت لورا بامتعاض يخالطه شيء من الرضى:

ـ لم يذكر أبي لأمي شيئاً عن مجيء جون إلى هنا. أظن أن جدي أقنعه بذلك، إذ لن ينتج عنه سوى المزيد من الإزعاج، بينما لم ينتج عن ذلك أي ضرر، أليس كذلك؟

لم تعلم كارولين ما إذا كان عليها أن تكون مسرورة أم آسفة.

تابعت لورا التي عقدت حاجبيها: ليتني أعلم لماذا جاء. هل أنت واثقة من أنك لم تطلبي منه القدوم يا آنسة دوغلاس؟

شهقت كارولين: «لا. كوني عاقلة يا لورا. ولماذا أطلب منه القدوم إلى هنا؟»

وضعت لورا مرفقيها على المائدة مريحة ذقنها على يديها: «لا أدري. آه، ليتني كنت هنا، ليتني رأيته».

* * *

LOVE_Shades
www.liilas.com/vb3

٥ ـ الحب يغزو كل شيء

أرسلت ديبوراه بوث وراء كارولين صباح السبت عندما كانت تستعد للسفر إلى لندن لمفاجأة تيم. عندما نزلت الدرج قاصدة الغرفة الصباحية التي تنتظرها فيها مخدومتها، كانت أفكارها مليئة بجايمس ولورا، وبزيارة جون موني التي كانت كارولين واثقة من أن ديبوراه قد علمت بها.

ولكن ما حيّرها هو أن ديبوراه أرادت أن تدعوها إلى حفلة عشاء صغيرة ستقيمها في المساء التالي.

قالت للفتاة باسمة: «سنكون ثمانية فقط، أنا وجايمس بالتأكيد، ووالداه السيد والسيدة روبرت بوث... ثم تريفور فروبيشر والسيدة فروبيشر وابنهما الأكبر الذي عاد للتو بعد سنتين من الغياب أمضاهما في جنوب أفريقيا، ولورا... وكليف لستر وهو من أصدقاء زوجي، وأنت».

تساءلت كارولين عما إذا كان وراء هذا التدبير جايمس.. راحت تبحث في ذهنها بلهفة عن عذر للتغيب وما لبثت أن قالت تعتذر: «أنا... حسناً، سيدة بوث، كنت أرجو أن أتمكن من قضاء العطلة الأسبوعية في المدينة».

ولكن لم يكن من السهل رفض طلب لديبوراه: «أرجو ألا تخذليني يا آنسة دوغلاس. سأكون صريحة معك، السيدة التي ترافق السيد لستر عادة مريضة لذا لم أستطع موازنة عدد المدعوين في هذه المدة القصيرة».

قالت كارولين وهي تبدي تعاطفها: «آسفة ولكن...».

ـ آه، أرجوك ستستمتعين بالحفلة. إنك لم تستمتعي بأي نوع من الترفيه منذ جئت إلينا.

ـ ولكن يا سيدة بوث..

فقاطعتها ببرودة ودهاء:

ـ من المؤكد أنك تنوين العودة إلى هنا مساء غد، آنسة دوغلاس، أليس كذلك؟ ليس لديّ اعتراض على قضائك الليلة في المدينة إذا كان هذا ما تريدينه. ولكن أكثير علينا أن نطلب منك العودة في وقت أبكر قليلاً مما كنت تريدينه لتشاركينا العشاء؟

تنهدت كارولين التي لم تشأ أن تكون عديمة الأدب فماذا تفعل؟

قالت: «حسناً..».

فقاطعتها ديبوراه مستغلة ما بدا عليها من ضعف: «علمت أن بإمكاني الاعتماد عليك يا آنسة دوغلاس. هذا حسن جداً. إذن ستوافيننا إلى المكتبة غداً مساء».

بعدما أوصلها غروم إلى محطة «ريدنغ» لتستقل القطار إلى المدينة تملكها ذلك الشعور الرهيب بانقباض القلب الذي يترافق دوماً مع توقعها حدوث شيء غير سار.

أفسد عليها التفكير في حفلة عشاء ليلة الأحد عطلتها الأسبوعية. كان تيم مسروراً لرؤيتها، وهو أيضاً معلم.. رغم أنه في البداية ابتدأ مهنته كرسام تجاري، وهو الآن يقوم ببعض الأعمال الكتابية بشكل حر، ولكنه يكتسب معيشته الحقيقية من التعليم في كلية ثقافية.. لدى تيم شقة في حي تشلسي. ومنذ عرفته كارولين وهو يحاول إقناعها بأن تشاركه فيها بالمبلغ الذي يناسبها. وكان إن توقف عن طلب الزواج بها قبل سفرها إلى سريلانكا، ولكنه لم يدع الأمل قط في أن تغير رأيها يوماً ما.

تناولا الغداء في المطعم الصيني في المنعطف القائم بجانب شقته.. وهناك أخبرته عن الأشياء المعتادة المتعلقة بعملها، ما عدا هوية مستخدميها. فقد اعترفت مرة لتيم في غمرة موجة من الكآبة عن تلك الفترة التعسة من حياتها. فخافت أن تخبره بأنها تعيش الآن في نفس المنزل الذي يعيش فيه ذلك الرجل الذي آلمها بذلك الشكل السيء.

عندما كان يحدثها عن إحدى تلميذاته أخذ ذهنها يشرد عن الطريق

السويّ فقال لها: «هاي.. هل تصغين إلي؟»

اعتذرت كارولين: «أنا آسفة يا تيم، ماذا كنت تقول؟»

ـ بل ما الذي كنت تفكرين فيه؟ هذا هو المهم.

اغتصبت كارولين ابتسامة: «لا شيء هام».

عقد جبينه: «هل أنت واثقة؟ إنك تشغلين بالي إذ تبدين متوترة. هل يرهقونك بالعمل؟»

ـ آه، لا بل أستمتع به كثيراً.. فلورا فتاة ذكية.

ـ لورا؟ أهذا هو اسم الفتاة التي تعلمينها؟

ـ نعم.

ـ ما شكلها؟ أعني شخصيتها، هل هي من تلك الفتيات الضيقات التفكير؟

ـ آه، لا، بل على العكس.. السبب الذي أخرجوها بسببه من المدرسة هو تورطها بعلاقة مع مهندس إرلندي يعمل في إنشاء طريق بالقرب من المدرسة.

فقال هازلاً: «هاي... هل الأمر كذلك؟ يبدو أنها طفلة».

ـ وهي كذلك.

ـ ما اسمها مرة أخرى؟ فروبيشر؟ لورا فروبيشر؟ لا أكاد أتذكر.

ترددت كارولين لحظة ثم قالت: «اسمها، في الواقع، بوث. لورا بوث».

قال تيم الذي ضاقت عيناه:

ـ هل قلت بوث؟ ألم تخبريني مرة بأن لدى ذلك الشخص الذي حدثتني عنه.. ابنة؟

ـ آه، آه، نعم. ربما عليك أن تعلم، إنه مخدومي.

ـ ماذا؟ ولماذا لا تريدين أن تخبريني؟

ـ أنا.. ربما لا. إنما أنا نفسي لم أعلم بذلك حتى أصبحت هناك. لقد أجرت لي المقابلة تلك المرأة فروبيشر كما تعلم، فكيف كان يمكنني أن

أنكهن أن ديبوراه بوث تتجنب مثل هذه الأمور لأنها عاجزة؟

ـ لماذا إذن لم ترفضي الوظيفة بعدما عرفت أصحابها.

تنهدت كارولين: «كنت سأفعل ذلك، ولكنني.. حسناً، قابلت لورا فقررت البقاء».

ـ هل أنت واثقة من أنه السبب الوحيد؟

ـ أظن ذلك.

فتنهد تيم: «وكيف كانت ردة فعل بوث عند ظهورك؟»

تورد وجه كارولين: «لقد تكهن بما حدث. وهو يعلم أنني لا أريد علاقة معه».

ـ أحقاً؟ إذا كان لم يعد يهتم بك، فلماذا لم يطردك من العمل؟

ـ من المؤكد أن زوجته ستشك في الأمر إذا طردني بلا سبب.

بدا عدم الاقتناع على تيم ثم سألها:

ـ وماذا عن زوجته؟ كيف شكلها؟

فكرت كارولين لحظة قبل أن تقول: «لست واثقة. فهي تبدو ودوداً للغاية أحياناً، وفي أحيان أخرى... في الواقع، طلبت مني الانضمام إلى حفلة عشاء ستقيمها مساء الغد».

ذهل تيم: «ماذا؟ ولماذا؟ هل أنت واثقة من أن السيدة بوث هي التي وجهت الدعوة؟»

أحنت كارولين كتفيها وهي تعترف كارهة:

ـ تساءلت بيني وبين نفسي عن ذلك.. ولكنها هي وراء ذلك لأن جايمس لن...

ـ جايمس؟

ـ آه، يا تيم، كفى محاولة العثور على زلة في اللسان. نعم.. جايمس! وبم تريد مني أن أدعوه؟ السيد بوث؟ تيم، إنه رجل أحببته مرة! رجل عشت من أجله.. ثلاثة أشهر فقط. فلا تتوقع مني أن أنسى ذلك.

أمسك تيم بيدها عبر المائدة بشدة: «آه، يا كارولين.. كارولين، إنك

حمقاء، فهل تعرفين هذا؟ إنك حمقاء لأنك تمكثين في ذلك المنزل. فأنت لست عديمة الاكتراث بجايمس بوث، لذا لن يجلب مكوثك هناك إلا التعاسة إلى نفسك».

انتزعت يدها من يده ووضعت يديها معاً في حضنها وهي تقول: «أنا لا أفعل ذلك. ألا تفهم يا تيم؟ هذه هي الطريقة الوحيدة، فلا يمكنني الهرب من نفسي طوال حياتي».

فحملق فيها غاضباً: «إنك مجنونة».

ولاذ بالصمت، ولكن هذه المحادثة أفسدت العطلة الأسبوعية، ومع أن كارولين أمضت الليلة في الشقة حيث احتلت سرير تيم بينما رقد هو على الأريكة في غرفة الجلوس كما اعتاد مرات كثيرة من قبل، رغم هذا لم يكن الأمر بينهما كما كان.

صباح الأحد، استيقظت كارولين بعينين منتفختين لأنها لم تظفر بسوى ساعتين من النوم.

وجدت تيم ما زال يغط في نوم عميق على الأريكة، غسلت وجهها وارتدت ثيابها بهدوء ثم تركت الشقة دون أن توقظه، ولكنها وضعت رقعة ورق صغيرة بجانب الأريكة تشرح له الأمر. إن ذلك جبن منها ولكنها لا تستطيع أن تتعرض مرة أخرى لمزيد من تبادل التهم.

لأن الوقت مبكر على العودة إلى ميتلاندس، أخذت تتمشى في شارع فولهام قاصدة الحديقة العامة. قررت أن تودع حقيبة ملابسها الصغيرة في مكتب الأمانات في محطة «بادينجتون»، وبعد ذلك تبحث عن مكان تتناول فيه طعام الفطور. ولكن ما إن سارت عدة أمتار حتى مرت بها سيارة خضراء فارهة.

ارتدت كارولين إلى الخلف عند المنعطف مجفلة، فما زال الوقت باكراً والمارة قليلون.. ولكن في السيارة ما جعلها مألوفة لديها، ولما أنزل جايمس زجاج السيارة المحاذي لها اتسعت عيناها دهشة.

قال بحدة: «ادخلي».

توقفت كارولين وهي تنظر حولها متوترة: «أنا.. لماذا؟»

فتح باب السيارة من الداخل ثم مدّ ساقه خارجاً منها ومن ثم وقف بجانبها. كان ينطلونه مجعداً، ويرتدي كنزة سميكة. وبدت لحيته نابتة تغطي ذقنه، أما عيناه فبدتا محمرتي الأجفان وقد رسم الإرهاق خطوطاً حولهما.

عاد يقول بإصرار: «أدخلي يا كارولين».

فهتفت وهي تنظر في عينيه: «من أين أقبلت؟ وماذا تفعل هنا؟»

قال وهو يأخذ حقيبتها من أصابعها المرتخية:

ـ أدخلي وسأخبرك. هيا بنا، إن ضوء المرور أصفر الآن.

ثم ألقى بحقيبتها إلى المقعد الخلفي.

حاولت أن تحتج ولكن شيئاً في عينيه أسكتها، فهزت كتفيها بعدم اكتراث وصعدت إلى المقعد الأمامي عندئذ صفق الباب ودار حول السيارة ثم صعد إلى جانبها.

التفتت تحدق إلى جايمس، وإذا به يركز اهتمامه على حركة السير لذا لم يستطع مبادلتها النظر، فتملكها شعور بألم مريع في معدتها لا يمكن تجنبه. ما الذي كان يفعله هنا؟ وكيف عثر عليها؟

حوّل جايمس السيارة من الشارع العام عند أول مفترق للطرق، متبعاً الشوارع الصغيرة، حتى خرجا منها إلى جانب مقبرة. ثم أوقف السيارة عند المنعطف وأطفأ المحرك.

قال: «هل نتمشى؟»

نظرت كارولين إلى المقبرة بريبة، فأضاف يقول بخشونة:

ـ إنها هادئة على الأقل.

تنهدت وهي تفتح باب السيارة. دخلت كارولين من بين القضبان الحديدية الطويلة إلى ساحة خالية. الجوّ ما زال بارداً لذا شعرت بالسرور لأنها ترتدي سترتها الفيروزية فوق القميص الأصفر وبنطلون السفر. سار جايمس بجانبها واضعاً يديه في جيبي بنطلونه أما ملامحه فبدت مظلمة شاردة.

أخيراً سألها: «من هو؟»

خرجت الكلمات من بين أسنانه متوترة ملؤها المرارة.

لم تتظاهر كارولين بعدم فهمها ما يعنيه:

ـ إن اسمه تيموثيل فرانكلاند. ولكنني لا أفهم ما شأنك بهذا.

فوقف جايمس أمامها متوقفاً عن السير: «لا تفهمين؟ من يكون؟ وكيف تمضين الليلة في شقته؟»

قالت وهي تجذب نفساً عميقاً: «جايمس، ليس لديك الحق في التجسس عليّ».

ـ صدقي أو لا تصدّقي. لحقت بك لأنني ظننت أنك ذاهبة للقاء موني.

ـ ماذا؟

قال وقد توترت شفتاه: سمعت ما قلته، فما أشدّ حماقتي! كان عليّ أن أدرك أنك لست بذلك الغباء.

فقالت بغضب: «لا أقبل هذا منك يا سيد بوث. إن ما أفعله في وقت فراغي هو شأني الخاص».

سحب جايمس نفساً عميقاً يدل على أنه يحاول أن يسيطر على أعصابه. أردف: «وإلى أين كنت ذاهبة الآن؟ إلى بسكومب على الأغلب».

تحولت كارولين عنه مبتعدة. سألت: «ولماذا أذهب إلى بسكومب؟»

ـ موني يسكن هناك.. هناك بيته المتنقل.

التهبت عيناها غضباً: «آه، بحق الله. لقد سبق أن أخبرتك بأنني لا أعرف جون موني أكثر مما تعرفه أنت».

ـ أحقاً لا تعرفينه؟

ـ لا. آه، نعم. تحدثت إليه، أليس كذلك؟ ولكن كان بمقدورك أنت محادثته.

ـ لم تسمحي لي بذلك.

تنهدت قائلة: «لقد طلب رؤيتي أنا، ولا أظنه كان سيرضى بالتحدث إليك».

ـ إذا ظننت أنني اقتنعت بذلك الكلام التافه عن اتصال لورا به لكي يتحدث إليك، فأنت مخطئة.

هزت كتفيها قائلة: «وماذا أستطيع أن أقول؟»

ـ ما لا أستطيع فهمه هو السبب الذي يجعل لورا تساندك؟

التفتت إليه كارولين وشعرت رغماً عنها بالبؤس بسبب العذاب الظاهر في ملامحه.

ـ آه، يا جايمس، ليس لك أن تقلق بالنسبة للورا.. فلن يصيبها أي ضرر، صدقني.

أخرج يديه من جيبيه ثم أخذ يمرّر أصابعه على فخذيه: «أنا لم أمض الليلة خارج شقة فرانكلاند بسبب لورا».

حبست كارولين أنفاسها وهي ترتد مبتعدة عنه.. راحت تهز رأسها ببطء ثم قالت بوهن وهي ترى يديه تمتدان إليها: «لا، لا يا جايمس. أنا.. لا يمكنك فعل هذا..».

قبض على أعلى ذراعيها ثم جذبها إليه وراح يتمتم بصوت ملؤه العذاب: «لا بد من ذلك يا كارولين.. لا بد من ذلك...».

كان عناقه عنيفاً محموماً جعلها تشعر به كما لم تشعر قط.. لم تدرك أنها ما زالت تتذكر قوة تأثرها وتجاوبها معه.

همست محتجة: جايمس.

همس يقول دون أن يفلتها من بين ذراعيه: «لا تصديني يا كارولين».

أدركت فجأة أنه لا ينوي أن يتركها. لم تعرف ما إذا كانت تملك القوة أو الإرادة لمقاومته ولكن عليها المقاومة.. أغمضت عينيها لأنها لا تريد أن ترى جاذبيته التي لا تنكر، ثم رفعت قدمها ورفسته بعنف على ساقه مستغلة استرخاء يديه المؤقت عنها. ثم ركضت إلى بوابة المقبرة والمشاعر تهزها. لكنها ما لبثت أن توقفت فجأة، فحقيبتها في سيارة جايمس وحقيبة يدها أيضاً وهذا يعني أنها لا تملك قرشاً واحداً يعيدها إلى ميتلاندس.

أصلحت ملابسها ثم التفتت خلفها متوجسة. كان جايمس يسير ببطء

نحو البوابة محني الرأس، وبدا غير منتبه إلى وجودها. عندما نظرت إليه، تملكها العجب لعدم شعورها نحوه بأي غضب أو اشمئزاز، ولهذا الشعور السخيف الذي تملكها والذي هو.. ماذا؟ عطف؟ حنان؟ ولماذا تشعر بالعطف على رجل يستحق احتقارها؟ كان الجواب بسيطاً بالتأكيد (الحب يغزو كل شيء) كما يقول المثل.

عندما اقترب منها، رفع بصره إليها فأبدت تمرداً كانت بعيدة عن الشعور به.

قالت: «هل لي أن آخذ حاجياتي من فضلك؟»

نظر جايمس إليها بذهن متلبد ثم هز كتفيه: «لماذا؟ إذا كنت عائدة إلى ميتلاندس، فسأقلك بنفسي».

ـ لا أريد أن أركب معك. وإلى ذلك.. ما الذي ستقوله زوجتك إذا عدنا معاً؟ خاصة وأنت أمضيت الليلة خارج البيت.

فقال لها ببرودة: «لا يهمني شيء».

ـ حسناً، أما أنا فيهمني، لا أريد أن أفقد عملي فقط من أجل.. حسناً، من أجلك.

عاد يهز كتفيه: «كما تشاءين».

فتح سيارته وأخرج حقيبتها التي وضعها على الرصيف ثم ناولها حقيبة يدها الملقاة على المقعد.

علقت حقيبتها بكتفها وحملت حقيبة ملابسها، أما جايمس فاتكأ إلى صندوق السيارة، ولكنه لم يكن ينظر إليها. ابتعدت عنه خطوة ثم نظرت خلفها وهي تشعر بحس من المسؤولية أزعج ضميرها.

قالت ضارعة: «جايمس».

عندما التفت لينظر إليها، أسرعت تقول: «جايمس أنا.. أنا لم أنم معه.. أعني تيم فرانكلاند. قد لا تصدق هذا، ولكنني لم أفعل وما فعلت قط».

فقال وقد أظلمت عيناه: «لماذا تقولين لي هذا؟»

عند ذلك تورّد وجهها: «لا أدري.. ظننت أنك.. أن هذا يهمك».

فأطلق ضحكة لا بهجة فيها، ثم تمتم يقول:

ـ يهمني؟ آه، ابتعدي عني كارولين، دعيني وشأني. ليتني لم أرك مرة أخرى.

* * *

عندما عادت كارولين إلى ميتلاندس، كان الوقت متأخراً. لقد قامت بما صممت عليه في البداية فأودعت حقيبتها في المحطة، ولكنها بدل البحث عن مقهى تتناول فيه فطورها، استقلت الحافلة إلى جنوب المدينة حيث انضمت إلى مجموعة من ذوي الإجازات الذاهبين إلى الشاطىء والنزهات. فهي بحاجة للانضمام إلى مجموعة لا يعرفها فيها أحد.

تأخرت في العودة إلى المدينة، ولعل ما أخرها أكثر عدم رؤية غروم الذي كان عليه أن يستقبلها.. وهذا ما جعلها تستقل سيارة أجرة إلى المنزل، وقد تجهم وجهها بسبب المبلغ الذي عليها أن تدفعه لذلك. فإن هي لم تكن حذرة فستنفق علاوة الشهر المقبل وبهذا تحكم على نفسها بقضاء أربعة أسابيع أخرى هنا، فقد قررت تقديم استقالتها.

عندما توجهت إلى غرفتها، لم تر سوى مدبرة المنزل ولكن سيارة جايمس كانت أمام الباب وكم شعرت بالراحة لأنه وصل إلى بيته سالماً.

لم تكد تجد وقتاً تفتح فيه حقيبتها لتخرج كيس الحمّام إذ سمعت قرعاً على بابها. ترددت لحظة ثم سحبت نفساً عميقاً وذهبت لتفتحه، وشعرت بشيء من الارتياح لأن لورا هي الواقفة بالباب.

قالت لها الفتاة بلهجة طبيعية: «مرحباً، هل أستطيع الدخول؟».

تنحّت كارولين جانباً فدخلت لورا الغرفة، وعندما أغلقت كارولين الباب ارتدت هذه إليها ضاحكة: «لن تحزري أبداً ما حدث، رأيت جوني».

تهالكت كارولين على حافة سريرها بضعف: أحقاً؟

ـ نعم، اليوم في فينبورن. اتصل بي قائلاً إنه كان سيسأل عنك لو أجاب أحد غيري على الهاتف، ولكن بما أن أبي في رحلة بحرية وأمي مشغولة

بالتحضير لحفلة العشاء التي ستقيمها الليلة، كان عليّ أن أجيب بنفسي.

إذن هنالك كان مفروضاً بجايمس أن يكون. تنهدت كارولين: «فهمت».

سألتها لورا بقلق: «لا تمانعين، أليس كذلك؟ أقصد أن الأمر كان في غاية البراءة.. تمشينا فقط.. وتحادثنا».

اضطجعت كارولين إلى الخلف في سريرها وشبكت ذراعيها خلف رأسها وقالت بضعف:

ـ لا أدري يا لورا، لا أحب أن أكون غطاءً لتصرفاتك الخفية. تعلمين أن أمك ستلومني لتشجيعي إياك ومن يستطيع أن ينكر ذلك؟

ـ وما الذي يجعلها تعرف؟

استندت كارولين إلى مرفقيها: «إن الآباء دوماً يعلمون. آه، اسمعي. ألم نتوصل إلى ترتيب خاص؟».

ـ هذا صحيح. قلت إنك ستساعدينني على رؤية جون أحياناً..

ـ لم أقل شيئاً كهذا.

أحنت لورا كتفيها وأبدت الملامح الثائرة التي تبديها لوالديها: «بل فعلت، لقد قلت لك إذا اجتهدت في دروسي..».

ـ لورا، لم يمض على وجودي هنا سوى أسبوعين أو أكثر بقليل. فاصبري بعض الوقت، كيف يمكنني مساعدتك إن أصررت على التصرف بطريقة لا يرضى عنها أبواك؟

ـ وما الذي يمنع أن أرى جون أحياناً إذا تدبرنا الأمر؟

ـ حسناً، أرجو ألا يتعود على الاتصال بك إلى هنا والسؤال عني. لا أظنكما رتبتما الأمر بهذا الشكل، أليس كذلك؟

ـ لا، لم نرتبه.

كان جواب لورا عنيفاً، فقطبت كارولين حاجبيها وقالت بفروغ صبر:

ـ ولكنك تدبرت أمر رؤيته مرة أخرى.

زمّت لورا شفتيها ثم قالت بغلظة:

ـ لا أدري لماذا عليّ أن أخبرك.

ـ أتريدين مني أن أذهب وأخبر والديك إلى أين ذهبت هذا النهار؟

ـ لن تفعلي ذلك.

قالت كارولين وهي تستقيم في جلستها: «جربيني».

ـ آه، لا بأس. نعم، نعم. وعدت بأن أراه مساء الجمعة.

نهضت كارولين من سريرها: لورا لا أريد أن أكون طرفاً في هذا الأمر.

أحنت لورا رأسها: «أما قلت إنك صديقتي؟».

رفعت كارولين عينيها إلى السماء مستشهدة: «نعم، وأنا كذلك. ولكن هذا ليس ما اتفقنا عليه، أليس كذلك؟ إن مضيك بالاجتماع به سراً لن يعزز مكانته عند أبويك»

ـ لن يوافقاني أبداً على الاجتماع به.

هزّت كارولين رأسها بعجز: «أنت لا تعرفين ذلك، أخبرتك بأنني سأساعدك إنما ليس بهذا الشكل. وإذا... وإذا اتصل تليفونياً مرة أخرى فأخبريه بما قلته لك».

ـ متى يمكنني أن أراه إذن؟

أخذت لورا تذرع حجرتها: «فيما بعد يا لورا، فيما بعد. خلال شهرين...».

هتفت لورا بفزع: «شهرين؟»

ـ تستغرق هذه الأمور وقتاً يا لورا. ثقي بي فأنا أعرف ما أقول.

ولكن كارولين أخذت تفكر، هل هي كذلك حقاً؟ ومن هي حتى تنصح الآخرين؟

تمتمت لورا باكتئاب وبصوت خفيض: «وما يدريني أنك لا تريدين أن نبقى مفترقين؟»

اتسعت عينا كارولين: «ماذا تعنين؟»

ـ حسناً، جاء جون إلى هنا ليراك عندما كنت أنا خارجاً.. أليس كذلك؟ وقد أخبرني أن الخبر الذي تلقاه هو منك فكيف أعرف أنك لا تهتمين به أنت

نفسك؟ لو أجاب شخص آخر على التليفون هذا النهار، لربما سأل عنك لأنك أنت التي يريد حقاً التحدث إليها.

بللت لورا شفتيها بلسانها: «آه يا لورا، هل تظنين ذلك حقاً؟»

قالت لورا بصوت حزين: «لا أدري ما عليّ أن أظن».

أشاحت كارولين بوجهها وهي تضغط خديها براحتيها.

ـ حسناً، صدقي أنني لم أر قط جون موني قبل أن يأتي إلى هذا البيت ذلك النهار. وبعكس شكوكك، لم يجذبني.

تنهدت لورا وارتجفت شفتها: «هذا لا يعني أنه لم ينجذب إليك، أعني.. أعني، قالت أمي إن كثيراً من الرجال يحبون صنفك من النساء».

شعرت كارولين بغصة في حلقها: «هل.. هل قالت أمك ذلك؟»

ـ نعم.

ـ ولكن... ولكن كيف؟ وكيف كان مجرى الحديث؟

هزّت لورا كتفيها: «كان ذلك وقت الغداء أمس قبل أن يذهب أبي إلى رحلته البحرية. قالت إنك ستمضين الليلة في المدينة».

ـ وبعد ذلك؟

ـ حسناً، قالت إنك ربما ستقيمين مع رجل ما وقالت إنك كنت تعيشين مع رجل قبل مجيئك إلينا. كان لديها.. لديها العنوان.

شعرت كارولين بالغثيان. إذن لهذا استطاع جايمس..

نعم، لا تنكر أنها سكنت فترة مع تيم ولكنها قطّ لم تكن على علاقة معه.

هتفت بمرارة: «آه، يا إلهي. ولكن ما الذي جعل أمك تقول شيئاً كهذا؟ وماذا يعنيها من ذلك؟»

ـ أنت لا تعرفين أمي يا آنسة دوغلاس، هي تحب الحديث عن أمور كهذه، مع أنها منذ تعرضت لذلك الحادث لم تطق أن يلمسها أبي.

ـ لا يمكنك أن تعرفي هذا.

ـ آه، بل أعرف. فهي تجفل أو ما أشبه ذلك كلما كان أبي موجوداً. ولكن هذا لا يعني أنها لا تهتم بما يفعل، فإذا أخذت امرأة من اللاتي يأتين

للعشاء عندنا بالعبث مع أبي، يتملكها غضب بالغ، إنها غيور جداً.

ـ لورا، لا ينبغي عليك أن تتحدثي عن أمك بهذا الشكل.

ـ ولماذا لا؟ أما سألتني عنها؟

ـ أعلم هذا، ولكن...

ـ على كل حال، لقد قالت إنك... لا تعلم مطلقاً أن جون جاء إلى هنا، لكنها، بشكل ما جعلتني أشعر بأنه إذا جاء... آه، إنك تعلمين ما أحاول أن أقول.

حاولت كارولين استيعاب ما تضمنه كلام لورا، فبعض الناس يجدون متعة في تعذيب الآخرين. ولكن أن تعذب ابنتها؟

سارت نحو النافذة حيث أخذت تنظر منها دون أن ترى شيئاً. لكن قد لا يكون للفكرة التي عنّت على بالها أساس. ربما ديبوراه بوث غير مسؤولة عن استدعاء جون موني إلى بيتها.. وهل يمكن هذا؟ ومع ذلك هي الوحيدة بينهم التي لديها أحسن فرصة لذلك، وكانت تعلم أن كارولين ستكون في المنزل. أما وجود جايمس هنا فلم يكن بحسبانها.

وجدت كارولين نفسها تتنفس بشيء من السرعة، ولكن قسوة ما كانت تفكر فيه عصف بكيانها، هل هذا ممكن؟ وإذا كان ذلك، فإلام تهدف ديبوراه من وراء ذلك؟

تنحنحت لورا لتجذب انتباه كارولين.

ـ هل هناك شيء سيء يا آنسة دوغلاس؟ لا أظنك... أعني.. حسناً، هل ستتركينا لأن.. لأن أمي تهتم بشؤون الناس الخاصة أكثر مما ينبغي؟

التفتت كارولين إليها شاعرة بثقل المسؤولية نحوها: «أنا.. لا، بالتأكيد، يا لورا».

بدت الراحة على لورا: «وأنا لن أقابل جون يوم الجمعة. سأرسل إليه خبراً بذلك».

أومأت كارولين قائلة: «شكراً».

منحتها لورا ابتسامة صغيرة: «الأفضل أن أذهب وأعدّ نفسي للحفلة،

أخبرتني أمي أنك ستكونين معنا».

أومأت كارولين مرة أخرى. كم تتمنى لو أنها لا تحضر!

* * *

LOVE_Shades
liilas.com/vb3

٦ ـ لعبة المرأة الحزينة

ارتدت كارولين ثوباً أسود بسيطاً للحفلة ورفعت شعرها على رقبتها. كان الثوب طويلاً يصل إلى الكاحل ولكنه بلا أكمام.. ومع أنه ثوب مصنوع من قماش الشيفون إلا أنه أظهر تقاسيم جسمها.

وعندما نزلت السلم سمعت أصواتاً من غرفة المكتبة، فتوترت أعصابها.

كان باب غرفة المكتبة موارباً، ومع ذلك فقد ترددت عند العتبة. لم يكن هؤلاء الناس من بيئتها، فأغمضت عينيها لحظة لتستجمع شجاعتها.

ـ هل أنت بخير يا آنسة دوغلاس؟

فتحت عينيها وإذا بها ترى كليف لستر بجانبها.. يبدو أنه كان واقفاً قرب الباب فلاحظ ترددها. فقالت بسرعة وهي تغتصب ابتسامة:

ـ آه، نعم. لقد كنت... كنت أستجمع شجاعتي لأدخل.

قال وهو يبادلها ابتسامتها: «لست بحاجة إلى شجاعة وأنت بهذا المظهر. هيا ادخلي».

بدت الغرفة مليئة بالناس، ولكن سرعان ما تبين لها أنهم عبارة عن السيد والسيدة بوث الكبيرين والشاب الذي كان ابن آيرين فروبيشر وديبوراه الجالسة في كرسيها ولكنها بدت تحتل المشهد بأجمعه بأناقتها في ثوبها القاتم الزرقة. ولكن لم يكن هناك أثر لجايمس أو للورا.

رأتها ديبوراه، وكان على كليف أن يقودها بالقوة إلى حيث كرسي مضيفتهم التي قالت لها:

ـ آه، آنسة دوغلاس تبدين رائعة الجمال. أليس كذلك يا كليف؟

في صوت ديبوراه من الإعجاب الصادق ما جعل كارولين تشعر بالخجل لأنها أساءت بها الظن وتصورت أن لها يداً بذلك الاتصال الهاتفي.

أجاب كليف هازلاً: «قلت لها الشيء عينه، وعليّ أن أهنئك على حسن اختيارك لمرافقتي يا ديبوراه».

ضحكت ديبوراه: هل تعرفين كل واحد هنا آنسة دوغلاس؟ لا، أنت لا تعرفينهم جميعاً. فلأقدمك إلى حماتي، آه وإلى تريفور أيضاً.

أثناء التعارف، انتبهت كارولين إلى أن جايمس انضم إليهم. سمعته يتكلم مع أبيه، فنضحت راحتاها بالعرق.

كان تريفور فروبيشر ظريفاً طويل القامة قوي البنية، وقد أمضى السنتين الماضيتين يعمل في مختبر في جنوب أفريقيا. وعندما أبدت كارولين فضولاً مهذباً بعمله، أخبرها بأنه يهتم بالكيمياء الحيوية. وأضاف قائلاً إنه يرجو أن يعمل في علم الوراثة، وكانا يناقشان أهمية الوراثة وفيسيولوجية الجسم، عندما ظهرت لورا.

وقفت لحظة عند العتبة فلما نظرت إليها كارولين كادت تقسم أنها لو كانت أكبر سناً لكانت من الفاتنات، مع أنها الآن تبدو فاتنة أيضاً.. في الواقع، هي المرة الأولى التي تراها كارولين فيها من دون بنطلون، مرتدية ثوباً من القطن المنقوش بالأزهار وشعرها المغسول حديثاً ينسدل على كتفيها كحرير أسود. بدت جذابة للغاية.

نظرت حولها في أنحاء الغرفة ولكنها بدت غير مهتمة بما أثارته من انتباه، وما إن رأت كارولين حتى توجهت إليها. ولكن ما إن وصلت إليها ورأت مرافق كارولين حتى اتسعت عيناها بعدم تصديق.

هتفت حائرة: «تريفور! هذا تريفور، أليس كذلك؟»

تورد وجه الشاب قليلاً، ووجدت كارولين نفسها تراقب ما بدا على وجه ديبوراه بوث من تعبير. كانت أم لورا تميل إلى الأمام في مقعدها، وقد بدا اهتمامها مركزاً على المشهد الذي يجري.

قال تريفور بابتسامة عريضة: «مرحباً يا لورا. لا تخبريني أنني تغيرت

بمقدار ما تغيرت أنت».

فضحكت لورا وهي تنظر إليه غير مصدقة:

ـ ولكنك كبرت جداً. لا أتذكرك بهذا الطول... أو بهذا العرض.

ثم تورد وجهها وهي تنقل انتباهها إلى كارولين: «أنا آسفة يا آنسة دوغلاس. إنما أنا وتريڤور نعرف بعضنا بعضاً منذ الطفولة فهو يكبرني بأربع سنوات طبعاً، ولكن ما زال بإمكاني تسلق الأشجار أفضل منه».

صدر عن جديها غمغمة هزل، وكأنها أدركت أنهما سمعاها فأبدت إشارة اعتذار ثم ارتدت لتتحدث إليهما. وعندما اجتذب آل بوث تريڤور إلى وسطهم، ظل كليف بجانب كارولين.

قال وقد بدا الهزل في عينيه: «حسناً، أنهيت واجبي لهذا المساء ويمكنني الآن أن أبدأ بإمتاع نفسي».

كانت كارولين تعير لمجاملات كليف نصف مسامعها فقط. وكان جايمس واقفاً قرب كرسي زوجته وقد أحنى رأسه مستمعاً إلى ما تقوله له. في هذه الأمسية ارتدى جايمس سترة العشاء القاتمة والقميص الناصع البياض بجانب بشرته السمراء، يمثل رجل الأعمال الناجح، وليس على الإطلاق ذلك الرجل الوحيد المعذب الذي واجهته هذا الصباح.

قدم العشاء بعد ذلك بدقائق. شعرت كارولين بالراحة وهي ترى أنها تجلس بين السيد بوث الأب وكليف لستر. أما جايمس وديبوراه فقد احتلا طرفي المائدة المستطيلة التي كانت تغطيها الآنية الفضية والكؤوس البلورية.

كان الطعام رائعاً.. استطاعت كارولين أن تأكل بعض ما قدم إليها، وفي هذه الأثناء ركزت انتباهها على ما كان روبرت بوث يقوله لها، وتجنبت النظر في اتجاه جايمس.

وعبر المائدة، كانت لورا تثرثر سعيدة مع تريڤور فروبيشر، يبدو أن الاثنين وجدا الكثير ليتحدثا عنه، وإذ أخذت كارولين تراقبهما فكرت في أن لورا نسيت حالياً جون موني.

نقلت انتباهها إلى ديبوراه التي بدا عليها هي أيضاً الرضا، وفكرت

كارولين أن بإمكانها أن تفهم السبب. ولكن إن ظنت أن من السهل تحويل مشاعر لورا فهي مخطئة.

عندما انتهى العشاء، قُدمت القهوة في غرفة الجلوس وهي غرفة نادراً ما كانت كارولين تدخلها، فلم يكن عملها يتضمن الجلوس مع الأسرة في غرفهم، والحمد لله لذلك!

سأل روبرت بوث كليف عما إذا قرأ في الصحيفة ذلك الصباح التقرير عن إفلاس إحدى الشركات، أما كارولين فجلست بشيء من الضيق على ذراع مقعد مستقيم الظهر، محاولة حمل نفسها على الاهتمام بما حولها لأن وعيها منصب على جايمس، ولم تدهش عندما تقدم منها ليسألها عما تحب أن تشرب.

أجابت وهي تشير إلى فنجان القهوة في يدها:

ـ لا شيء، شكراً. هذا يكفي.

أومأ جايمس برأسه وقد بدا رابط الجأش، ورأت أن الإرهاق الذي كان بادياً عليه هذا الصباح لم يتبدد كلياً.. وبسبب قربه منها رأت مدى الإنهاك في مظهره الذي كان يوماً ما مغرياً جذاباً.

أسرعت تغض طرفها لئلا يلمح ما ارتسم في عينيها من شعور بالحنان.

شعرت به يبتعد دون أن تراه، عند ذلك فقط أدركت أنها كانت تحبس أنفاسها. ولكن من حسن حظها أن كليف استطاع النجاة من أسئلة روبرت بوث وجلس على كرسيها وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

تمتم بصوت خفيض:

ـ ولماذا أهتم «بهانسفورد للنسيج» وعندي امرأة رائعة الجمال أتحدث إليها؟

لم تستطع كارولين منع نفسها من الابتسام: «إنك تشبع غروري حقاً. هل تعلم هذا؟»

ـ لماذا؟ ألأن السيد غير راضٍ عن وجودك هنا؟

وجدت كارولين صعوبة في السيطرة على تلوّن وجهها:

ـ لماذا . . لماذا تقول هذا؟

هزّ كليف كتفيه: «لا أدري. ربما هو لا يوافق على حضوري أنا، فلم ينفك يرمقنا بنظرات قاتلة هذا المساء».

ـ هذه تخيّلات منك.

اشتبكت عيناه بعينيها: أحقاً؟ ربما. أم لعله يشعر بالغيرة؟

ـ لا أراك جاداً في كلامك.

ـ آه، بل أنا جاد يا كارولين. هل يمكنني أن أدعوك كارولين؟ أنت لا تعلمين ما تفعله عيناك الخضراوان هاتان بالرجل.

حاولت كارولين أن تكون جريئة، فقالت عابثة: عيناي فقط؟

قال برقة: «لا، ليست عيناك فقط، بل أنت بأكملك. . .».

ـ ألا يمكنك أن تجد كرسياً تجلس عليه يا كليف؟

فرّق صوت جايمس بينهما كصاعقة فاستقام كليف محركاً عضلات ظهره المتصلبة، ولكن ليس قبل أن ترى كارولين ما ارتسم على وجهه وهذا ما جعلها تعرف ما يفكر فيه.

قال ساخراً: «أنت مضيف رائع دوماً يا جايمس».

فأجاب جايمس برصانة: «لا أراني كذلك».

مرّ كليف بإصبعه على شاربه وهو يقول:

ـ أخبرتني ديبوراه أنك كنت في نزهة بحرية هذه العطلة الأسبوعية، فإلى أين ذهبت؟

أمسكت كارولين أنفاسها ولكن جايمس لم ينزعج:

ـ ذهبت بسيارتي إلى ساوثمبتن.

أنذرهم باقتراب ديبوراه صوت كرسي عجلاتها على السجادة، ولكن كارولين شعرت بشبه راحة. فمع أن جايمس وكليف يتحدثان بمودة ظاهرة، إلا أنها تحس بنفورهما الصامت. تملكها شعور قوي بالاستياء من مخدومها، فأية لعبة يقوم بها؟ وكيف يجرؤ على إظهار مثل هذا الاهتمام التملكي بشؤونها؟

ـ حسناً، الآن أتستمتعون جميعاً؟

بدت مقاطعة ديبوراه البشوش عفوية.

أجاب كليف: «وماذا يمكننا أن نقول سوى ذلك بعد ذلك العشاء الفاخر الذي قدمته لنا؟ إن ديبوراه مضيفة رائعة كعادتها دوماً».

وتحوّلت عيناه بسخرية نحو جايمس عندما قال ذلك. ظنت كارولين، في لحظة مريعة، أنه سيقول شيئاً آخر ولكنه لم يفعل. ابتسمت ديبوراه راضية وهي تنظر إلى زوجها بحنان: «إن كلام كليف أحلى كلام، أليس كذلك يا حبيبي؟».

وانتقلت نظراتها إلى ملامح كارولين التي يكسوها توجّس غامض:

ـ ألا تظنين ذلك يا آنسة دوغلاس؟ لاحظت أن أعزبنا الجوّال تحدّث إليك كثيراً هذا المساء.

تحركت كارولين بضيق ثم تنحنحت: «إننا، أنا والسيد لستر، لا نكاد نعرف بعضنا بعضاً».

قالت كارولين بمكر: «آه، ولكن كليف ليس بالرجل الذي يدع العشب ينمو تحت قدميه. فقد حان الوقت ليتخذ زوجة، أليس كذلك يا جايمس؟ الرجل بحاجة إلى امرأة».

عندما لمحت كارولين وجه جايمس العابس، استغربت قلة الملاحظة لدى ديبوراه. ألا ترى أنها تثير موضوعاً حساساً؟

أخيراً قال جايمس بصوت متماسك هادىء:

ـ إن كليف ليس من الرجال الذين يتزوجون.

رد عليه كليف بحدة وهو ينظر إلى كارولين:

ـ قد تكون على خطأ. وكما قالت ديبوراه، لقد حان الوقت لكي أبدأ جدياً بالتفكير في الاستقرار.

لم تطق كارولين المضي في هذا فوقفت وأشارت إلى الخزانة داخل الجدار بقربها وقالت بصوت مهتز: «هل جمعت أحجار اليشب هذه بنفسك يا سيدة بوث؟»

بللت ديبوراه شفتها بلسانها لحظة، ثم قالت: «أظنتا نحرج الآنسة دوغلاس يا كليف. آه، بينما أنا مستمتعة بذلك؟»

فقال كليف، ولكنه كان ينظر إلى زوجها مباشرة: «وأنا كذلك».

قال جايمس بهدوء: «وما الذي جعلك تستمتع؟»

ـ هل يمكنني أن أضع بعض التسجيلات يا أبي؟

لحسن الحظ، ضاع هجوم كليف باختيار لورا هذه اللحظة بالذات لمقاطعتهما. كان تريفور إلى جانبها، وبدت أكثر حيوية ونشاطاً مما رأتها عليه كارولين قط. ومن ناحية أخرى، بدت ديبوراه كمن استنفدت طاقتها.

قال كليف: حسناً يا ديبوراه. ربما حان الوقت لكي أخرج.

قالت ديبوراه وهي تنهض نفسها محتجة:

ـ لا، لا، ليس الآن. وماذا ستفعل كارولين إذا خرجت؟

فابتدأت كارولين بالقول بضيق: في الواقع، أشعر بشيء من التعب..

ولكن ديبوراه لم تدعها تهرب، فقالت لها: هذا هراء، ربما الجوّ هو ما يجعلك تشعرين بذلك. فهو خانق نوعاً ما.. كليف، لماذا لا ترافق الآنسة دوغلاس في جولة بسيارتك؟

ـ آه، في الحقيقة...

ولكن ديبوراه تجاهلت ممانعة كارولين اليائسة، أما كليف فراح يفكر في ذلك بوجه مشرق:

ـ نعم يا ديبوراه، إنها فكرة صائبة. أليس لديك مانع حقاً؟

بدا الرضا البالغ على ديبوراه مرة أخرى: «ولماذا أمانع»؟

شعرت كارولين بأظافرها تنغرز في راحتيها... ساورها إغراء في أن تخبرهما بأن ليس لديها رغبة في الخروج مع كليف لستر وأنها متعبة وتريد الذهاب إلى سريرها. ولكن عندما تذكرت تصرف جايمس ترددت. فإن رفضت الخروج مع كليف فكيف سيفسر رفضها؟ سبق أن تملكته الشكوك بموقف جايمس منها، فهل بإمكانها المغامرة بإثارة نفس الشكوك بالنسبة إلى مشاعرها؟

أمسك كليف بمرفقها يسألها: «هل ثمة بأس في هذا بالنسبة إليك يا كارولين؟»

حركت كارولين كتفيها بعجز: «أنا... آه، نعم، نعم.. لا بأس في ذلك».

فبدت ابتسامة الفوز على شفتي كليف: «الأفضل إذن أن تحضري ما تضعينه على كتفيك، فسيارتي يمكن تحويلها، وأنا أحب إزاحة غطائها».

تركت كارولين الغرفة متجنبة عيني جايمس الذي كان مشغولاً مع لورا وتريفور بتفحص الأشرطة المسجلة.

سألها كليف وهو يخرج بسيارته من البوابة التي فتحها «دودز» البواب لهما: «إلى أين تريدين الذهاب؟»

أجابت كارولين وهي تحكم الوشاح حول شعرها: إلى أي مكان يعجبك.

لوى شفتيه: يا له من شيء يبعث على الحماسة حقاً. عرفت أنك غير راغبة في مرافقتي ولكنه كان الحل الأسلم.

أجفلت قائلة: «آه.. ماذا؟»

رد عليها بنعومة: «تعرفين ما أعني، إنه جايمس. ألم تلاحظي تصرفاته؟ ربع ساعة أخرى ثم لا يعود يهتم مثقال ذرة بما يقول».

حبست كارولين أنفاسها: «لا أدري ما الذي تعنيه؟»

ـ بل تدرين. إنني أعرف أنه يضايقني كذلك، ولكنه يعيش في جحيم مع تلك المرأة السافلة وأنا لا أستطيع أن ألومه كلياً بسبب انجذابه إليك.

ازدردت كارولين ريقها بصعوبة: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

ـ ها أنت تغيرين الموضوع مرة أخرى، ما خطبك يا كارولين؟ أنت أكثر تعقلاً من أن تتورطي بعلاقة مع والد تلميذتك؟

التفتت كارولين تحدق من نافذة السيارة:

ـ هل علينا دوماً أن نتحدث عني؟ بإمكاني أن أحاسبك على الأشياء التي تقولها كما تعلم.

ـ أية أشياء؟

ترددت كارولين: «حسناً، عن رغبتك في الاستقرار مثلاً».

هز كليف كتفيه وهو يرمقها بنظرة جانبية:

ـ ربما كنت أعني ما أقول.

عبست كارولين في الظلام:

ـ ومن لديك في ذهنك؟

ـ هذا سؤال واضح جداً، ألا تظنين هذا؟

شهقت: «أنا؟ آه، حقاً. أظنك ستخبرني الآن بأنك جننت بحبي من أول نظرة».

ـ هذا ممكن.

ـ آه، كفى. إلى أين نحن ذاهبان؟

كانا قد وصلا الآن إلى القرية، وكانت أضواء مقهى «كوش إن هورس» تترامى على الرصيف.

والواقع أن الساعة التي تلت كانت من أمتع الأوقات التي أمضتها كارولين منذ عودتها إلى إنكلترا، فقد كان كليف مرافقاً بالغ الحفاوة.

قال لها فجأة دون مقدمات ففاجأها:

ـ لن يطلقها أبداً، أعني جايمس. ولهذا لا مستقبل لكما.. أتعلمين ما أحاول أن أقوله لك؟

قالت وهي تنظر إلى يديها مفكرة في أن لا جدوى من التظاهر بالجهل: «نعم، إنما أستغرب أن تقول أي شيء بهذا الشأن؟»

تنهد وأجاب: «أنت تعجبينني يا كارولين. صدقيني. أظن أن من السهل تماماً أن أغرم بك».

ـ آه يا كليف.

ـ لا، اصغي إليّ، فأنا أعني ما أقول. فأنت مختلفة عمن أعرف من الفتيات، هذا أولاً. ثانياً، تعملين لتعيشي. إن معظم النساء اللاتي أعرفهن يعتبرن ذلك مصيبة! كما أنك سافرت ورأيت نوع الحياة في بلاد أخرى.

أردف قائلاً: «أنا أقول الحقيقة. فأنت فتاة غير عادية يا كارولين، هذا عدا جمالك.. ولا أظن أنه ينبغي لك أن تعملي في ميتلاندس».

ـ لا شأن لك في هذا..

ـ أعلم، أعلم، ولكنني أعرف جايمس يا كارولين. أعرف أنه يعيش حياة زوجية هي الجحيم بعينه ولا أحتمل الوقوف جانباً والمجازفة بتركه يؤذيك من دون...

شهقت قائلة: «لا يمكن لجايمس بوث أن يؤذيني».

قال وهو يبطىء من سيره عندما لاحت بوابة المنزل أمامهما: «هل أنت واثقة من ذلك؟ إن لم يؤذك هو فقد تؤذك ديبوراه».

قالت وهي تشدّ ثنايا ثوبها: «آه، بحق الله عليك، ما خطبك يا رجل؟»

هز كليف كتفيه وهو يطلق صوت نفيره لكي يفتح له البواب البوابة ثم يدخل من خلالها:

ـ لا بأس، ربما كنت مخطئاً. هل يمكنني رؤيتك مرة أخرى؟

ـ تراني مرة أخرى..؟

ـ نعم، فأنا أريد أن أصحبك لأعرفك إلى أمي ويمكننا أن نتناول العشاء معاً.

ـ أمك؟

ـ آه، نعم. فلي أم.

شعرت كارولين بابتسامة أخرى على شفتيها، ولكنها بقيت مترددة. لقد أعجبها كليف ولكنها لم تنجذب إليه.

وأخيراً قالت: «حسناً، لا بأس.. ولكن عليّ أن أسأل السيدة بوث أولاً».

قال عابساً: «ولكنها ليست حارسة عليك».

ألقت كارولين نظرة على المنزل أما كليف فكان يوقف سيارته الرياضية أمام الباب: «هذا صحيح ولكن.. هل يمكنني الاتصال بك تليفونياً، ربما غداً؟»

أومأ كليف: «لا بأس، الرقم في الدليل».

ثم ارتدّ إليها واضعاً ذراعه على مسند مقعدها: هل تمانعين إذا عانقتك؟

ـ وهل من عادتك أن تسأل؟

فهز كليف رأسه ثم انحنى يعانقها. قال: «إممم... هذا حسن. والآن أظن أن عليّ الدخول لتوديعهم بصفتي فتى مهذباً».

كانت ديبوراه فقط ووالدا زوجها ما زالا في غرفة الجلوس، فتنفست كارولين الصعداء.

أجابت ديبوراه على سؤال لكليف: «ذهب جايمس ليقل تريفور إلى بيته وذهبت لورا معه».

هتفت حماتها: «وعلينا نحن أيضاً أن نذهب، كانت حفلة جميلة يا ديبوراه».

لم تكن الليالي الجميلة لتدوم، وبقيت كارولين فترة في غرفة الجلوس إفراطاً منها في تأدية الواجب بينما ودعت ديبوراه ضيفيها إلى الباب. ولكن عندما عاد الكرسي المتحرك إلى الغرفة، كانت تهم بالخروج من الغرفة، وعندما اتجهت نحو الباب، لوت ديبوراه شفتيها قائلة: «هل تتركينني وحدي؟ ألا تريدين البقاء لتقولي لزوجي تصبح على خير؟ وللورا طبعاً؟»

شعرت كارولين بصداع يغزو صدغيها، وظنت أنه السبب الذي جعلها تتضايق من كلمات ديبوراه: «أنا.. هل لك أن تعتذري لهما نيابة عني يا سيدة بوث؟ أشعر فعلاً بالصداع».

ـ أحقاً؟ وأنا التي ظننتك تستمتعين بنزهتك مع كليف، إلى أين أخذك؟

ـ نعم استمتعت بذلك، إنه لطيف جداً.

ـ نعم، أليس كذلك؟

وإذا بأصابع ديبوراه تنقبض فجأة على ذراعي الكرسي بشدة وكأنها تتألم ولكن عندما بدرت من كارولين نظرة غريزية نحوها، عادت فاسترخت ووضعت يديها في حجرها وهي تسألها: «إلى أين اصطحبك؟»

ـ آه، فقط إلى مقهى «كوش إند هورس» في القرية، وهذا كل شيء.

ـ تأخرتما طويلاً.

ـ كنا نتكلم فلم نشعر بمرور الوقت.

نظرت ديبوراه إليها بإمعان: «آه، حسناً. أظن أن هنالك أشياء لا تريد الفتيات الإفصاح عنها».

قالت كارولين عابسة: «لا أدري ما الذي تعنينه يا سيدة بوث».

عند ذلك ابتسمت ديبوراه ولكنها ابتسامة غير سارة: «لم أكن دوماً ملازمة لهذه الكرسي يا آنسة دوغلاس. أعرف ما يحدث عندما يكون رجل وامرأة وحدهما في... سيارة».

لم تصدق كارولين أذنيها: «أؤكد لك أنني لا أكاد أعرف الرجل».

ـ لا بأس إذا كان هذا ما تريدينه، في أيامي أنا، لم نكن خجولين.

ـ هذا ليس خجلاً مني يا سيدة بوث.

ـ حتى إن كليف لم يودعك بقبلة المساء؟

ـ لم أقل إن...

أدركت كارولين أنهما ليستا بمفردهما في الغرفة. لم تسمع صوت السيارة، ولكنها عندما ارتدت وجدت جايمس واقفاً في العتبة ووجهه ينضح بالاحتقار.

ارتدت كارولين مرة أخرى إلى ديبوراه بكراهية غريزية، فقد كانت تعلم أن جايمس هناك حين ألقت عليها هذا السؤال. ولكن منذ متى وهو يقف هناك؟

شعرت بالغثيان واستطاعت أن تقول وهي ترتجف: «أنا متعبة للغاية يا سيدة بوث» وسارت نحو الباب دون أن تنظر إلى جايمس الذي أفسح لها الطريق، ثم تركتهما بلا كلمة أخرى.

* * *

قبل أن تذهب إلى فراشها صممت على الرحيل، ولكن تصميمها ما لبث أن تلاشى في الصباح بعد ليلة نامت فيها جيداً إلى حد أدهشها. فما زال لديها لورا التي عليها أن تضعها في عين الحسبان وقد يسبب لها رحيلها المفاجيء

تأثيراً سيئاً عليها.

ولورا نفسها بدت بالغة الحيوية والنشاط في هذا الصباح ولكنها كانت شاردة الذهن بسبب تريفور فروبيشر.

بدت عليها الكآبة فجأة وهي تقول: «لم أنس. وسأكتب إلى جون عن لقاء الجمعة».

ارتسمت على شفتي كارولين ابتسامة خفيفة: لم تنسيه إذن؟

اتسعت عينا لورا ساخطة: «أنساه بسبب تريفور؟ لا، بالتأكيد. أعلم أن هذا ما تريده أمي، ولكنها مخطئة. فأنا وتريفور.. حسناً، إننا كأخت وأخيها».

هزت كارولين رأسها: «أحقاً؟ لا تدعينا ننخرط في نقاش عاطفي، فمزاجي سيء».

ولكن لورا أصرّت على القول: «هل سررت بنزهتك الليلة الماضية؟ سعيك إلى صداقته شيء حسن. فهو الابن الوحيد وأمه شغوف به، وهم يعيشون في ذاك البيت الرائع..».

أسكتتها كارولين بقولها: أعلم ذلك، ودعك من هذا يا لورا. والآن هلا تحدثنا عن الدروس!

مضى الأسبوع الذي تلا تلك الحفلة هادئاً بشكل يدعو للدهشة، وشعرت كارولين بالراحة عندما لم تر جايمس أو زوجته. انضمت إليهما ديبوراه ذات صباح لتناول القهوة أثناء استراحتهما ولكنها حينذاك لم تنزع نحو الثرثرة فحمدت كارولين الله على ذلك.

صباح الخميس، اتصل كليف بكارولين وجعلها عتابه البالغ لأنها لم تتصل به تحاول رؤية ديبوراه طلباً للإذن منها للخروج مساء السبت لتناول العشاء معه ومع أمه، وكما توقعت، لم تعترض ديبوراه على ذلك ولكنها خنقت أي نوع من وخز الضمير قد تشعر به نحو جايمس، فهي لا تدين له بأيّ وفاء. وكما قال كليف، جايمس لن يطلق ديبوراه قط، وكان عليها أن تعلم ذلك أكثر من أي شخص آخر.

بعد ظهر يوم الجمعة، عندما كانت كارولين تستعد لتجفيف شعرها في غرفتها، جاءت جيني تخبرها بأن هناك من يتصل بها.

ـ يتصل بي؟ هل أنت واثقة؟

وعندما نزلت الدرج خطر لها أن من المحتمل أن يكون جون موني المتصل، ولكنها نبذت هذه الفكرة، فقد طمأنتها لورا منذ يومين إلى أن الرسالة التي تلغي موعدهما هي في طريقها إليه. ولهذا لم تكن مستعدة للهجة الإرلندية التي سمعتها في التليفون.

سألها بسرور ظاهر: «أهذه أنت يا كارولين؟»

نظرت كارولين إلى ما حولها بضيق، وعندما رأت أنها وحدها سألته غاضبة: «ما الذي تعنيه باتصالك الهاتفي إلى هنا مرة أخرى؟»

ـ آه، أهذه طريقة لمعاملة صديق؟

ـ لست صديقي يا سيد موني.

ـ أهكذا؟ مع أنني أعتبر نفسي صديقاً.

ـ لماذا تتصل بي يا سيد موني؟

أجاب محتجاً: «أنت لا تتركين لي مجالاً للشرح».

تابعت كارولين تقول: «وعدتني لورا بأن تراسلك»

ـ ولماذا تراسلني لورا؟

ـ لتخبرك بأنها لا تستطيع رؤيتك الليلة. هل تعني أنها لم تكتب؟

ـ آه، لم أقل هذا بالضبط.

تمالكت كارولين أعصابها: «سيد موني، إن لم يكن لديك سبب وجيه جداً للاتصال بي إلى هنا فاقفل الخط رجاءً».

قال بضيق: «لماذا أنت عديمة الصبر؟ أنا أفكر في ذلك الحديث الشيق الذي دار بيننا».

فتنهدت كارولين: «آه، أرجوك.. ما الذي تريده؟ هل كتبت لورا إليك رسالة أم لا؟ لا يمكنها رؤيتك الليلة كما أنها لن تتناول عشاءها في المنزل».

فقال متمهلاً:

ـ هذا مؤكد. لقد وصلتني رسالة الفتاة بالأمس.. وإنما أنت من أريد مكالمتها يا آنسة دوغلاس. لا أدري إن كنت تقبلين بقضاء هذا المساء معي.

قالت: «لا تكن سخيفاً».

ـ ولماذا أكون سخيفاً؟ أنا هنا في «فينبورن» فهذا يوم عطلتي، فلماذا لا أطلب منك أن تشفقي عليّ وتشاركيني وحدتي في عشائي؟

ـ لا تهمني وحدتك يا سيد موني. وليس لديك الحق في القدوم إلى هنا.

ـ ولِمَ لا؟ فهذه بلاد حرة، أليس كذلك؟ وأنا أحب التنزه.

تحركت كارولين بضيق: «حسناً، حسناً، أشكرك على دعوتك هذه، ولكنني مع الأسف مرتبطة».

ـ هل أنت خارجة مع شخص آخر؟

رفعت عينيها إلى أعلى بيأس: «لدي.. أشياء أخرى أقوم بها».

ران صمت فترة طويلة كادت تظن معها أنه أقفل الخط في وجهها، ولكنه عاد يقول: «هل لورا موجودة؟»

لورا عند بركة السباحة وتريفور معها في المنزل، وفيما بعد ستذهب الأسرة بأكملها لتناول العشاء في منزل أهله آل فروبيشر. فكيف بإمكانها أن تناديها إلى المنزل لتأتي وتكلم جون موني؟ لم تحتمل التفكير في هذا الأمر لأنه سيدمّر سهرة لورا وسيثور غضب والديها إذا عرفا بما يجري.

قالت محتجة: «لا يمكنك التحدث إليها الآن».

قال: «لا بأس، سأتصل بها فيما بعد..».

فقالت مذعورة: «لا، لا. لا يمكنك هذا... لن تكون لورا هنا، سبق أن أخبرتك أنها ستخرج مع أبويها...».

ـ سأجرب حظي.

ضغطت على السماعة بأصابعها حتى شعرت بالألم.

ـ حسناً، متى تريد مني أن ألقاك؟

لزم الصمت لحظة أخرى ثم قال برقة: «هل أنت غاضبة مني؟»

تنهدت: «وماذا تظن؟»

بدت السخرية في صوته: «آسف، إنما ليس هناك طريقة أخرى، أليس كذلك؟ هل تأتين إلى القرية أم آتي لاصطحابك؟»

قالت بحزم: «لا، سأسير على قدميّ، أخبرني فقط عن الوقت».

ـ حسناً، فلنقل.. الساعة السابعة..

أحنت كارولين كتفيها: «ولكن ليس في فينبورن».

ـ اختاري المكان الذي تريدين، سأكون في انتظارك الساعة السابعة.

ـ اتفقنا.

وضعت كارولين السماعة بقلب مثقل، فهي غير مقتنعة أنها تتصرف بصواب. ولكن ماذا بإمكانها أن تصنع؟ لو ذهبت إلى ديبوراه وأخبرتها بالقصة كلها، لأزاحت عنها هذا العبء، ولكنها وعدت لورا بمساعدتها. والواقع أنها رجت الله أن تموت هذه العلاقة أخيراً بشكل طبيعي، ولعل ما شجعها على ذلك موقف جون موني. أما ما لم تكن تتوقعه، فهو تحويل انتباهه إليها وما سيتبع ذلك من تعقيد.

ابتعدت عن التليفون وسارت نحو السلم والكآبة تغمر وجهها.. أدركت أن هناك من يراقبها من باب المكتبة. شعرت بمرارة وهي ترى جايمس وتحول شعورها بالذنب إلى غضب وهي تسأله:

ـ هل تعودت الاستماع إلى أحاديثي؟ ألا مجال للانفراد في هذا المنزل؟

كان جايمس متكئاً على جانب الباب، فاستقام في وقفته ولكن وجهه لم يكشف عما يدور في نفسه، ثم قال بأدب: «آسف ولكن عندما سمعت ذكر والدي لورا، غلبني الفضول».

تلاشى غضبها بنفس السرعة التي ثار فيها:

ـ إذن استنتجت أنه جون موني؟

مرت على وجهه سحابة ما لبثت أن تبددت بسرعة: إذا كان هذا قولك.

سكتت كارولين وهي تنظر إلى ما ورائه، واعية إلى الصورة التي تبدو فيها أمامه.. بنطلون جينز رث وقميص بلا أكمام، وشعرها مبلل ينسدل على

www.elias.com
Love Shades

كتفيها. أما جايمس فكان يرتدي البذلة التي كان يرتديها في المدينة.

أخيراً سألته: «لماذا برأيك يتصل بي؟»

هزّ كتفيه: «استنتجت أنه كان يتفق على موعد معك لهذا المساء».

كان هادئاً رابط الجأش، وشعرت كارولين بانقباض في نفسها فرفعت رأسها قائلة:

ـ هذا صحيح. هذا ما كان يفعله، هل لديك أي اعتراض؟

سحب جايمس نفساً عميقاً فظنت للحظة أنه سيعنفها، ولكنه عوض ذلك حل ربطة عنقه وأشاح بوجهه عنها وأجاب بهدوء: «لا، أبداً. والآن، أرجو المعذرة فلدي عمل أريد القيام به».

عندما دخل إلى المكتبة وأغلق بابها خلفه، قاومت كارولين رغبة في السعي وراءه لإخباره بما حدث. إنه الوحيد المستعد لمساعدتها، ولكنها لم تجرؤ على إخباره لئلا يعتقد أنها ما زالت تهتم برأيه فيها.

لم تجد كارولين صعوبة في الوصول إلى القرية في الوقت المحدد للقاء جون. لأنها عندما نزلت إلى الطابق السفلي الساعة السابعة إلا ربعاً، كان غروم واقفاً في الردهة.

سألها بأدب: «هل أنت خارجة يا آنسة؟»

أومأت برأسها: «نعم، لماذا؟»

فقال: «هل أقلك إذن؟ إن كنت تقصدين القرية فأنا ذاهب إليها».

هتفت بفضول وهي تنظر حولها: «هل كنت تنتظرني؟»

وضع غروم قبعته على رأسه وقال منكراً:

ـ لا، يا آنسة.

ولكنها لم تقتنع فقالت:

ـ هل نذهب إذن؟

أنزلها غروم أمام مقهى «كوش إند هورس». ما إن ترجلت من سيارة الليموزين الفارهة حتى رأت الرجل الإرلندي بانتظارها في الشارع.. زمّت شفتيها معاً بشدة وأغلقت باب السيارة، لم تشكّ في أن جايمس طلب من

غروم أن يقلّها إلى القرية.

تقدم جون موني عابراً الطريق نحوها بخطوات واسعة، وبدت على شفتيه ابتسامة الظفر.

ـ حسناً، ألست فتاة غير عادية؟ فقد بكّرت في المجيء؟

نظرت إليه بضيق: «لقد أقلني السائق كما ترى».

ـ آه، لقد رأيتها، إنها سيارة رائعة الجمال؟

لم يستسغ مزاج كارولين هذا المزاح، فقالت: «كفّ عن مثل هذا الكلام. أين سنأكل؟»

نظر جون إلى مظهرها معجباً، كانت ترتدي طقم جينز وقد فرقت شعرها بعصابات مطاطية فبدت في الثامنة عشرة.

قال لها: «حجزت مائدة في مطعم «فينيكس» في ريدنغ، هل أنت جائعة؟» وكانا أثناء ذلك يسيران إلى حيث دراجته البخارية.

ردت عليه بحدة وهي تتناول منه الخوذة فتضعها على رأسها: «لا، إنما أريد فقط أن أنتهي من هذا الأمر بسرعة، أنا مستعدة».

افتتح مطعم «فينيكس» حديثاً قرب مركز المدينة، حين أصبحا في الداخل وجلسا إلى إحدى الموائد طلب كوبين من عصير البرتقال.

قال لها: «ماذا حدث الآن؟»

حملقت كارولين فيه: «تعرف ماذا حدث، ابتزازك لي لكي تلقاني! لم أعلم أن هذا سيحدث عندما أخبرتني أنك رجل واقعي».

هز كتفيه قائلاً بكسل: «لم أقل قط إنني رجل رضي الخلق... ماذا كنت تفضلين القيام به؟ تناول العشاء مع والد لورا الجذاب ذاك؟ هه؟»

كانت كارولين ترتشف عصيرها، ولكن كلمات جون التي قالها ببساطة جعلتها تشهق ثم تسعل حتى دمعت عيناها ولفتت انتباه الحاضرين.

سألها برقة: «هل وجدت عظمة في العصير؟ هذا ما اعتادت أمي على قوله لي.. وكم كان يضحكني ذلك».

أما كارولين فجاهدت في سبيل التنفس:

ـ لماذا سألت . . . وما الذي سألته؟

تأمل لون عصيره البرتقالي لحظة، ثم بدأ يرتشفه: «حسناً، والآن . . فلأفكر . . ما الذي قلته؟»

هتفت بصوت غاضب منخفض: «تعلم ما قلته. لماذا قلت تلك الجملة؟ هل قالت لورا شيئاً في رسالتها؟»

تأمل جون قائمة الطعام أمامه: «ما الذي سنطلبه؟ لم يسبق لي أن أكلت هنا . . ولهذا لا أستطيع تزكية أي طعام. أتشعرين برغبة في الحيوانات البحرية؟»

توسلته غير مهتمة باختيار الطعام:

ـ جون أريد أن أعلم من أين استقيت تلك المعلومات؟

تأمل وجهها المتلهف بسخرية: إذا كان الأمر غير صحيح، فلماذا كل هذا؟

حدّقت كارولين إليه: «لا بد أن بإمكانك التكهن بشعوري يا جون، فلا يمكنك أن تقول كلاماً كهذا دون أن تشرح الأمر».

قال عابساً: «بل يمكنني ذلك. ها، ما رأيك بالبفتيك؟»

قبضت كارولين يديها: «جون، إن لم تخبرني بكل شيء فسأخرج الآن من هنا ولن ينفع عندئذ أي نوع من الإغراء لإعادتي».

عند ذلك تنهد ووضع قائمة الطعام جانباً ثم قال بهدوء: «لن يعجبك ذلك».

فتصلب جسم كارولين وأخذت أفكارها تتسارع:

ـ هل . . هل تكلمت مع جايمس؟

اندفعت بهذا السؤال بشكل طائش وسرعان ما أدركت خطأها. ولكن لم يكن ثمة طريقة لسحب كلماتها تلك.

سألها وقد ضاقت عيناه: «جايمس؟ خرج الاسم من بين شفتيك بشكل طبيعي . . إنه اسم والد لورا، أليس كذلك؟»

ـ نعم، آه، نعم. أنت تعلم هذا.

ـ وهل تنادينه بهذا الاسم؟

ـ لا، وإنما . . أحياناً.

ـ ما هي تلك الأحيان؟

صرخت به: «لا أدري ما علاقة أي من هذا بك . . أو بي، أو بلورا».

سألها على نحو مزعج: «هل اعتدت إنشاء علاقات مع الرجال المتزوجين؟»

شعرت بأن أنفاسها توقفت، وحاولت أن تنهض لتهرب بصرف النظر عن كل شيء آخر، ولكن قبضته على ذراعها كانت رقيقة بشكل غير متوقع. أجلسها في مقعدها وقرب وجهه من وجهها: «من تظنينه أخبرني؟ ليس سوى زوجته».

تمتم بذلك رغماً عنه تقريباً.

فتهالكت كارولين في مقعدها وهي تحدق إليه بعدم تصديق: «ماذا؟ ولكن . . ولكنني ظننت . . أنك لا تعرف السيدة بوث؟»

أجاب بحدة وقد تهدل جانبا فمه: «أنا لا أعرفها، ولكنني تكلمت معها تليفونياً».

ـ تليفونياً؟ أتقصد أنها هي التي اتصلت بك في البداية؟ . .

ـ لا أدري شيئاً عن هذا الأمر، أعلم فقط ما أخبرتني به منذ يومين.

وضعت كارولين يدها على عنقها، فقد كان عليها استيعاب أمور كثيرة. كان أمراً لا يصدّق أن تكون ديبوراه مستعدة لإحضار امرأة إلى بيتها تشك في أن لها علاقة بزوجها.

التفتت إلى جون وهي تقول بهدوء: «ما الذي أخبرتك به بالضبط؟»

حدّق إلى قائمة الطعام التي أمامه على المائدة: «ولماذا عليّ أن أخبرك؟ ما كان لي أن أقول أي شيء، ألا يمكنك أن تنسي ما قلته؟»

انتصبت كارولين في جلستها: «ولكنه غير صحيح يا جون. آه، أعترف أننا، أنا وجايمس، تعارفنا ذات يوم ولكن ذلك حدث منذ زمن بعيد».

ـ تعارفتما ذات يوم؟ أتعنين ذلك بالمعنى العملي؟

www.liilas.com

فقالت وهي تشعر بالغثيان: «لا. فهو متزوج كما أشرت أنت، والواقع أنني لا أقيم علاقات مع رجال متزوجين. وكذلك مع رجال غير متزوجين».

ـ هذا ما تقولينه أنت.

وضعت يدها على ذراعه قائلة: «وهي الحقيقة، جون، خلتك تشعر نحوي بمودة».

رمقها بنظرة جانبية: «كنت كذلك ولكنني لم أعد واثقاً».

ـ أليس لديّ فرصة لأدافع فيها عن نفسي؟

ـ وأية فرصة منحتها لزوجته؟

أحنت كارولين رأسها: «لا أتباهى بما فعلت، ولكن عذري أنني ظننت.. ظننت أن جايمس ينوي الحصول على الطلاق».

ـ ألم يفعل؟

ـ لا.. كل ما كان يريده مجرد علاقة..

ـ حسناً، أنت تستحقين أفضل من هذا كارولين، فالرجل المستعد للتضحية بسعادتك لكي يرضي شهواته لا يستحق أن تفكري فيه.

وأخذ يدها بيده: «هل نحن صديقان؟»

ـ أخبرني لماذا اتصلت بك ديبوراه؟

نظر إليها بعد لحظة: «وهل قلت إنها اتصلت بي؟»

عقدت كارولين حاجبيها: «ولكن.. أما قلت..».

صحح لها كلامها برقة: «قلت إنني تحدثت إليها منذ يومين».

ليتها لا تشعر بهذه الشكوك التي غرزها في نفسها.

تابعت وهي تسيطر على أعصابها: «لا بأس، بصرف النظر عمن اتصل بالثاني، فما الذي قيل؟»

ـ وما الفائدة من ذكر كل ذلك؟ يكفي أن أقول إن الفتاة كانت حزينة بسبب علاقتك بزوجها.

ـ ليست ديبوراه بوث فتاة، ثم ما الذي تعنيه بقولك (حزينة)؟ ولماذا تخبرك هي بذلك؟

هزَّ جون كتفيه بعدم اكتراث: «ربما رجت أن آخذك فأخلّصها منك».

ـ ماذا؟

ـ لقد سمعتني. تظن أنه لن يبقى لديك وقت للاهتمام بزوجها إن أمضينا الوقت معاً.

ـ ولكن ما الذي تعرفه عني وعن جايمس؟

قلب شفتيه: «وما يدريني؟»

فارتجفت كارولين. إنه يعرف أكثر مما يقول، وتمنت لو إنها لم ترتكب غلطة إفشائها سرّ علاقتها بجايمس. قالت وهي تضغط راحتيها على حافة المائدة الباردة: «برأيك إلى أي مدى تعرف ديبوراه؟ ما الذي جعلك تظن أنها لا تستغلك فقط؟»

ـ ولأي سبب؟

شعرت بالعجز: «لا أدري، فهي امرأة غريبة الطباع».

رفع حاجبيه: «أحقاً؟ من أية ناحية؟»

ـ ولماذا أخبرك؟ آه، عليّ أن أترك منزلهم، لا يمكنني الاستمرار بهذا الشكل.

ـ وماذا بالنسبة إلى لورا؟

أحنت كارولين كتفيها: «نعم.. لورا. مسكينة لورا، ماذا سأفعل بها؟»

رفع جون بصره إلى النادل الذي كان ينظر إليهما وقال لها: «تعالي، فمائدتنا جاهزة وأنا جائع».

رافقته كارولين إلى غرفة الطعام المضاءة بالشمعدان وقلبها مثقل، ما هي اللعبة التي تقوم بها ديبوراه؟ لماذا تخبر رجلاً غريباً بأن زوجها كان على علاقة يوماً ما مع مربية ابنتها؟

لم يدهشها أن يستغل جون كل فرصة أثناء الطعام للخوض في أمور أخرى. ولكن ما الذي استخلصه من ذلك؟ هذا هو السؤال الذي لم تستطع أن تلقيه.

عبثت بطعامها بالشوكة وهي تتساءل عما إذا أدرك جايمس أن زوجته

تعلم بالأمر. وإن لم يكن هذا، فهل عليها أن تخبره؟ الله يعلم ما الذي تخططه ديبوراه إذا كانت تخبر رجالاً مثل جون موني بمشاكلها. ولكن لماذا عليها أن تنذر جايمس؟ وما الذي فعله لها غير تعقيد حياتها بشكل لا يصدق؟

بعد انتهاء العشاء، تناولا القهوة ولكن جون عاد إلى الموضوع الذي كان يحتل ذهنيهما أكثر من غيره.

سألها برقة: «لن تغادري منزل ميتلاندس، أليس كذلك؟ لن تهجري لورا بهذه السهولة».

قالت بمرارة: «وما شأنك أنت؟»

ـ أريد أن أراك مرة أخرى.

ـ لست جاداً.

ـ ولماذا لا؟ إن وقوعك في مشاكل مع مخدوميك ليس ذنبي.

خفض بصره إلى فنجانه: عندما أكون معك فأنا على الأقل لا أزعج لورا، أليس كذلك؟

ـ هل هذا تهديد؟

ـ وهل يبدو لك كذلك؟

ـ آه، لا أدري. ليس الذنب ذنبك كما تقول، ولكن ذهني مشوّش ليس أكثر.

بدا عليه القلق: لا داعي إلى هذا.. إسمعي، ربما السيدة بوث بحاجة إلى من تشكو له همها.. وربما وجدت كتفي في معرض الشكوى. ما زلت تعملين عندها وما زال كل شيء كما هو بالنسبة إليك.

هزّت كارولين رأسها: «أحقاً؟ ليتني أستطيع تصديقك».

أصر جون على إعادتها إلى المنزل بنفسه بعد العاشرة مباشرة. عندما ترجلت كارولين عن الدراجة البخارية لم تر أثراً لسيارة جايمس، فقالت له وهي تعيد إليه الخوذة:

ـ شكراً.

ـ مرحباً بك الأسبوع القادم، نفس الوقت ونفس المكان.

هتفت وقد أذهلتها وقاحته: «قد لا أكون هنا الأسبوع القادم».

ـ بل ستكونين.

استغربت أمره، فما الذي يعلمه ولا تعلمه هي؟

* * *

LOVE_Shades
liilas.com/vb3

٧ ـ تبكي بين ذراعيه

كان رقاد كارولين سيئاً فقد استيقظت عدة مرات والعرق البارد ينضح منها، وكانت أحلامها عبارة عن كوابيس رأت فيها ديبوراه تلاحقها بقسوة. ومع بزوغ الفجر غفت قليلاً ولم تستيقظ إلا على صوت جيني التي أحضرت لها الفطور.

جرت كارولين نفسها من السرير وسكبت لنفسها كوب قهوة، في هذه اللحظة شعرت بأنها لن تستطيع البقاء ليلة أخرى في هذا المنزل. كانت شاحبة منهكة منتفخة العينين، وشعرت بالراحة عندما تذكرت أن اليوم هو السبت يوم عطلتها..

كانت في ثياب البيت ترشف كوب القهوة الثاني، عندما طرق شخص ما بابها. تمنت لو تستطيع تجاهل الصوت ولكن عندما نادتها لورا: «هل أنت هنا يا آنسة دوغلاس؟» لم تستطع تجاهلها.

فتحت الباب فدخلت لورا إلى الغرفة مشرقة الوجه، وما لبث وجهها أن أظلم قليلاً وهي ترى وجه كارولين الشاحب، فهتفت قائلة: «هل أنت بخير؟».

وعند ذلك أدركت كارولين أن الأمور بالنسبة إلى لورا ما زالت حتى الآن هي نفسها. فقالت بلهجة حازمة: «أنا بأحسن حال، أنت مبكرة».

أومأت لورا تقول: «جئت فقط لأخبرك أن أمي تريد رؤيتك فلديها ما تريد أن تسألك عنه، هل ستتأخرين؟»

تهالكت كارولين على سريرها بضعف: «حسناً، لم أرتدِ ثيابي كما ترين».

ولكنها لا تشعر بالقدرة على مواجهة ديبوراه، فبعد الليلة المزعجة التي أمضتها شعرت بأنها مستنزفة القوى.

ـ متى.. متى تريد أن تراني؟

قالت لورا بلهفة: «الآن، وفي أسرع وقت ممكن. هل أخبرها... بعد ربع ساعة؟»

دهشت كارولين لهذه السرعة، فهي إلى هذه اللحظة لم تر من لورا أي اهتمام بأوامر أمها.

أخيراً قالت: «فلتكن نصف ساعة! هلا ذهبت، فأنا أريد الاستحمام».

فأومأت لورا مبتسمة: «لا بأس، سأراك فيما بعد إذن..» ثم خرجت من الغرفة.

اغتسلت كارولين ثم ارتدت تنورة وصداراً بلون الورد، مع قميص كستنائي اللون.

كانت ديبوراه بانتظارها في غرفة الجلوس، فلمّا رأتها مدبرة المنزل تنزل الدرج أرشدتها إلى مكانها. دخلت كارولين إلى القاعة الأنيقة بثقة لا تشعر بها في الحقيقة، لأن رؤية ديبوراه بعد تلك الكوابيس أثارت أعصابها نوعاً ما. ولكنها دفعت عنها تلك التصورات الصبيانية ثم قالت بأدب:

ـ هل طلبت رؤيتي يا سيدة بوث؟

رفعت ديبوراه بصرها عن الصحيفة التي كانت تقرأها:

ـ آه، الآنسة دوغلاس، هل أبلغتك لورا رسالتي؟ بالتأكيد وإلا ما أتيت إلى هنا.

ـ يا سيدة بوث...

قاطعتها المرأة: «أريد أن أطلب منك القيام بخدمة لي يا آنسة دوغلاس. لورا بحاجة إلى بعض الملابس الجديدة ومن الطبيعي أن ترغب باختيارها بنفسها، ولأنني لا أحب أن يراني الناس في متاجر لندن على هذه الحال أطلب منك إقناعها بالذهاب».

تمتمت كارولين بفتور: «إلى.. إلى لندن؟»

ـ نعم، سيقلكما غروم بالسيارة. تتفقان معه على موعد يوافيكما فيه فيما بعد. تعرفين لندن يا آنسة دوغلاس، أكثر مما أعرفها أنا. أنت تعلمين نوع الأشياء التي تحتاجها لورا.

شعرت كارولين بحاجة ماسة إلى الجلوس، فقد كانت ساقاها تشعران بعدم الثبات، كما أن موجات من الدوار جعلتها تشعر بالضعف. ما الذي كان يجري؟ وكيف تخبر ديبوراه أي شخص بأن لزوجها علاقة مع المربية ثم تطلب من نفس المربية أن تختار ملابس لابنتها؟ هل لفق جون موني القصة كلها؟ لم يكن لديها سبيل للمعرفة، فأخذت تحدق في ديبوراه بعجز متمنية لو تعلم ما يدور خلف مظهرها الناعم.

أمالت ديبوراه رأسها وسألتها بفضول:

ـ هل هنالك ما يسوءك يا آنسة دوغلاس؟ هل ستتناولين العشاء مع آل لستر هذا المساء أم لديك موعد آخر؟

قالت كارولين وهي تنطق بالكلمات بصعوبة:

ـ لا، ليس لدي موعد آخر يا سيدة بوث..

ـ هل تقرر كل شيء؟

وكان هذا صوت لورا التي اختارت هذه اللحظة لتدخل إلى الغرفة.

قالت لها أمها باستنكار: هذا ما أظنه يا لورا فأنا ملهوفة إلى رؤيتك ترتدين شيئاً آخر غير هذا البنطلون الشائن.

نظرت لورا إلى كارولين فرأت الشحوب ما يزال بادياً عليها.

هتفت تقول: «هل أنت واثقة من أنك بخير يا آنسة دوغلاس؟ إن كنت تشعرين بتوعك فبإمكاننا أن نؤجل ذهابنا إلى وقت آخر».

قطبت ديبوراه جبينها: «ما هذا؟ لم تخبريني بتوعكك آنسة دوغلاس؟»

هزت كارولين رأسها وقالت: أنا بأحسن حال، هل يمكنني التحدث إليك لحظة على انفراد يا سيدة بوث؟

طوت ديبوراه صحيفتها: «آسفة، ليس الآن يا آنسة دوغلاس. لدي أشياء كثيرة عليّ الاهتمام بها، اذهبي الآن مع لورا وثقي أنني سأدفع الأجر المناسب

لما تبذلينه من وقتك لنا».

أطالت كارولين من وقوفها لحظة ولكن العناد لم يبارح ملامح ديبوراه، أما لورا فكانت واقفة بجانب الباب ملهوفة للخروج، ولأن كارولين تدرك أن ليس بإمكانها أن تقول شيئاً أثناء وجود الفتاة تخلت عن الأمر. فكان أن ابتعدت وهي تهز كتفيها عاجزة، ثم فجأة طالعهما جايمس الذي كان واقفاً على عتبة الباب وقد بدا رشيق الجسم مليئاً بالرجولة في بذلته المخططة العاجية اللون وقميصه الكحلي. وكان الإنهاك الذي يلازمه هذه الأيام يزيد من جاذبيته.

بدا السرور على لورا: «بابا، ظننتك خرجت. آه، هل ستقلني بسيارتك؟ سيارتك «الجنسن» الرائعة».

جاء صوت ديبوراه:

ـ سيقلك غروم يا لورا.

ولكن جايمس لم يرهبه هذا فقال بهدوء: «وعدت لورا أن أقلّها إلى المدينة، أما العودة فلتكن على يد غروم بعد الظهر».

قالت ديبوراه بحدة: «أنت ذاهب إلى المكتب يا جايمس وليس بإمكانك التجوال مع لورا».

ـ إن اصطحابها معي إلى المدينة لا يعني التجوال معها.

نقلت كارولين نظراتها متوجسة بين ديبوراه ولورا. ما الذي يعني هذا؟ أهذا يعني أنها لن تذهب؟ وكم رجت الله أن يحدث ذلك فهي لا تستطيع احتمال عذاب قضاء ساعة مع جايمس في سيارته.

قالت ديبوراه بإصرار: «أفضل أن تذهب لورا مع غروم، كما أن الآنسة دوغلاس ستصحب لورا، وسيارتك لا تتسع لثلاثة».

ردّ عليها بجفاء: «لن يشكرك صانعو السيارة على هذا القول. وأنا أعلم أن الآنسة دوغلاس قادمة هي أيضاً، هل أنت جاهزة يا آنسة دوغلاس؟»

ونظر إلى كارولين ببرودة.

أرادت كارولين الاحتجاج، ولكن ماذا بإمكانها أن تقول؟ فما هي سوى

مربية. التفتت بعجز إلى ديبوراه وإذا بها تلمح كراهية مفاجئة في عيني المرأة الأخرى، كان ذلك للحظة سريعة فقط ولم تعرف لمن كانت تلك النظرة موجهة، ولكنها كافية لتقتنع بأن بإمكان ديبوراه القيام بأي شيء. وعادت تلتفت إلى جايمس وقد احمر وجهها، فرفع حاجبيه يسألها بثبات: «سألتك إن كنت جاهزة، آنسة دوغلاس، صحيح أنني لست مشغولاً كما تقول زوجتي، إلا أنني لا أملك النهار بطوله».

ارتجفت شفتا كارولين فضغطتهما معاً بشدة ثم قالت وهي ترتجف: «سوف.. سأحضر حقيبة يدي».

عندئذ تنحّى جايمس جانباً ليسمح لها بالخروج.

عندما عادت كارولين إلى الطابق السفلي وجدت لورا فقط في انتظارها في الردهة فهتفت بصبر فارغ: «هيا بنا! أبي بانتظارنا».

كانت السيارة الجنسن واقفة ومحركها دائر. نزلت لورا الدرجات ركضاً، ثم فتحت الباب الواسع وصعدت إلى المقعد الخلفي، وعندما وصلت كارولين إلى السيارة، كان جايمس قد نزل منها ووقف ينتظر لكي يغلق بابها.

مالت لورا إلى الأمام متكئة بمرفقيها على ظهري مقعديهما وهي تهتف: «أليست رائعة، آنسة دوغلاس؟ لا أظنك ركبت من قبل في سيارة «جنسن»، أليس كذلك؟»

رد عليها أبوها باختصار: «إن الآنسة دوغلاس أكبر منك سناً بكثير، ولعلها ركبت سيارة جنسن عشرات المرات».

فعبست لورا بوقاحة: «لا بأس، لا بأس، ولكنها ليست أكبر مني بكثير. كنت أجري فقط حديثاً».

لم تكن كارولين تصغي إليها لأنها كانت تنظر إلى يدي جايمس القويتين على عجلة القيادة.

ـ ما رأيك يا آنسة دوغلاس؟

أجفلت كارولين وقالت معتذرة: آسفة، ماذا قلت؟

فرمقها جايمس بنظرة جانبية وفي عينيه تصميم اخترق الحواجز التي

وضعها بينهما، ثم أخبرها بهدوء: «سألتك لورا من أين عليها أن تبدأ: من شارع أكسفورد أو شارع كارنابي؟».

حوّلت كارولين عينيها عن يديه ثم نظرت من فوق كتفها إلى وجه لورا المنتظر: «أنا.. حسناً، أظن أن علينا أن نبدأ من شارع أكسفورد. فأنت بحاجة إلى بعض الملابس الرسمية وكذلك الملابس العادية».

سألته لورا برجاء: «ألا يمكنك القدوم معنا يا أبي؟ ليتك تأتي...».

ـ لورا، لدي اجتماع بعد ثلاث وأربعين دقيقة بالضبط.

قالت كارولين لكيلا يتصور جايمس أنها قد تكون طرفاً في هذا الاقتراح: «بإمكاننا القيام بذلك بمفردنا يا لورا».

فأحنت لورا كتفيها: «لا بأس، لا بأس، فكرت في أنك تحب أن تظهر بعض الاهتمام بابنتك ولو مرة واحدة».

رأت كارولين يدي جايمس تتوتران ثم سألها بحدة: «ماذا تقصدين بذلك؟»

بدا الاستياء على لورا: «حسناً، لم تعد تمضي معي وقتاً فأنت دوماً مشغول بالاجتماعات... أو الذهاب في رحلات بحرية.. أنت تقوم بأي شيء يجعلك تبتعد عن البيت...».

ـ لورا!

فقالت ثائرة: «نعم، هذه هي الحقيقة، فأنت كأمي لا تهتم بي. لعلتك تهتم بي، ألم تعوّدني على...».

ـ لورا، أنت تحرجين الآنسة دوغلاس.

فقالت لورا بصوت باك: «لماذا عليّ دوماً أن أتوسل إليك لكي تهتم بي؟ هل لأن أمي تشعر بالغيرة عندما تصحبني إلى أي مكان..؟»

تهدج صوتها، أما كارولين فراحت تحدق من النافذة وهي تتمنى لو كانت في أي مكان غير هذه السيارة وغير هذه اللحظة.

أوقف جايمس السيارة فجأة ثم ارتدّ في مقعده ينظر إلى ابنته التي ما إن رأى وجهها حتى أطلق شتيمة ثم فتح بابه وترجل ليصعد إلى المقعد الخلفي

بجانبها.

دون أية كلمة، دفعت كارولين بابها ثم ترجلت وسارت مبتعدة عن السيارة. كانت السيارات تتجاوزها بسرعة ولكنها لم تهتم بها. إن علاقة جايمس بابنته شيء خاص بهما فلا دور لها في ذلك. فجأة أصبح الألم غير محتمل، كان استمرار إنكار ذلك من باب العبث فلم تتوقف قط عن حبه.

وجدت جسراً ضيقاً فوق قناة للري، وبوابة استطاعت أن تريح عليها ذراعيها. وكانت حرارة الشمس تشتد على ظهرها.. اليوم تركت شعرها مسترسلاً وها هي النسائم التي تثيرها مرور السيارات تحرك خصلات شعرها فتدخل فمها. عندما جاء جايمس ليقف بجانبها، نظرت إلى وجهه المنهك ثم إلى السيارة الواقفة على بعد عدة ياردات، ثم همت بالتوجه إليها لولا أن يده التي وضعها على ذراعها منعتها من ذلك. كان مولياً ظهره إلى السيارة وبهذا لم يكن بإمكان لورا أن ترى ما يفعل.

قال بعنف: «لا تذهبي الآن، أرجوك يا كارولين».

فارتجفت وسألته: «وماذا بالنسبة إلى الاجتماع؟»

ـ فليذهب الاجتماع إلى جهنم.

ـ أنت لا تعني ذلك. عليك أن تذهب.

فتنهد ثم أوماً يقول: «وعدت لورا أن أصحبكما إلى الغداء، وفي تلك الأثناء يكون الاجتماع قد انفض، وبعد ذلك..».

سارعت تعترض: «ليس عليك أن تأخذني، سأذهب إلى التسوق مع لورا ثم أوافيها فيما بعد...».

فتمتم بصوت أجش: «لا تكوني حمقاء.. لأنك ستتناولين الغداء معنا».

تمتمت تقول: «مسكينة لورا».

فنظر إليها وقد بدا في عينيه جوع ساخر ثم قال من بين أسنانه: «مسكينة لورا حقاً، فالأم لم تكن تريدها على الإطلاق وهي لا تهتم بها مثقال ذرة.. والأب عاشق لامرأة أخرى».

همت كارولين بالهرب بعيداً عنه، ولكنه لم يدعها تذهب بل قال بعنف:

«هذا صحيح. عليّ أن أخبرك، وما فائدة الإنكار؟ ولكن ما الذي يمكنني فعله بالنسبة لهذا الأمر؟ آخذ لورا وأطلقها؟ لقد فكرت في هذا ولكن أتظنينها ستدعني أفعل هذا؟ أبداً، ولن أجد محكمة تمنحني حق حضانة ابنتي. خصوصاً إذا كان هناك شك في وجود امرأة أخرى. حسناً، لورا في السادسة عشرة من عمرها الآن، وبعد سنتين سيكون بإمكانها أن تقرر مصيرها بنفسها، ولكن هل بإمكاني انتظار كل هذا الوقت؟ وهل يمكنني أن أجرب حظي واعداً نفسي بأن المرأة التي أحبها لن تتزوج في هذه الفترة من رجل آخر؟»

أغمض عينيه لحظة ثم أردف يقول: «وهكذا أخبر نفسي أن عليّ أن أرحل، وبعد سنتين ستكون لورا حرة في القدوم إلي. ولكنني لا أستطيع القيام بهذا أيضاً.. هل تتصورين السم الذي ستبثه ديبوراه في ذهنها؟ هل يمكنك تصورها وهي تخبر لورا أن أباها قد عشق مربيتها؟ كارولين، لقد أبعدتك عن ذهني. فست سنوات زمن طويل، وكنت واثقاً من أنك تزوجت قبل ست سنوات. لم يكن لديّ الحق بأن أطلب منك انتظاري».

ـ آه يا جايمس.

ـ بحق الله يا كارولين، لا تنظري إلي بهذا الشكل، أنت لا تعرفين العذاب الذي سببته لي في الأسابيع الماضية، ولا أدري كم يمكنني أن أحتمل أكثر من ذلك. ولكنك تشعرين بالرضا وأنت تستعرضين أمامي غزواتك.

ـ جايمس، أنت لا تفهم..

ردّ عليها بحدة: «أفهم أنك تؤذيتني مهما كان سبب ذلك».

انتبهت كارولين إلى حركة مفاجئة من السيارة فارتدت إليه تقول بعجز: «لورا قادمة نحونا يا جايمس ولا يمكننا التحدث الآن».

ـ وماذا هناك أكثر من ذلك ليقال؟

قال ذلك ببرودة، ثم أشاح بوجهه عنها.

شعرت كارولين من الطريقة التي تعلقت فيها لورا بذراعه وهما عائدان إلى السيارة، بأنه عقد معها سلاماً. وتملكها السرور، فلورا هي الشخص

البريء الوحيد في كل هذا.

كانت لندن مزدحمة، مليئة بالسياح وكذلك بمتسوقي نهاية الأسبوع المعتادين. أنزلهما جايمس على مشارف منطقة التسوق الرئيسية بعدما وعدهما بملاقاتهما في الساعة الواحدة في مطعم فرنسي صغير. كانت لورا مبتهجة للغاية لأنها نالت ما تريد هذه المرة فجرفت بحماستها كارولين معها.

لدى معظم المتاجر حسابات باسم بوث، وهكذا طافت كل متاجر الأزياء مشترية كل الأشياء التي أعجبتها، تاركة كل شيء لكي يُرسل إلى المنزل «ميتلاندس». وصممت كارولين على تنحية المشاكل جانباً لكي تشارك لورا حماستها الصبيانية.

لم يكن من الصعب أن تجدا كل ما تريدانه.

هتفت لورا وهي تستعرض أمام كارولين والعاملة ثوباً يصل لكاحليها، لونه بين القرمزي والليلكي:

ـ آه، لست سيئة المظهر، أليس كذلك؟ لم أكن أعلم أنني سأبدو بهذا الشكل.

ابتسمت كارولين: «لا تكوني مغرورة جداً، فعليك أن تدفعي ثمنه. وقد يرفض أبوك أن يضع توقيعه على قائمة الحساب».

أخذت لورا تضحك وقالت بثقة: «لن يفعل ذلك... قال إن بمقدوري الإنفاق كما أشاء..».

تنهدت بسعادة: «نعم، سآخذ هذا الثوب. آه، هل لديك ثوب أزرق غامق؟ نعم، أزرق غامق.. طويل ملتصق بالجسم».

حدقت كارولين إلى الفتاة: «لورا، لن يلائمك هذا الثوب على الإطلاق».

ـ أعلم، ولكنه سيلائمك أنت. فقد قال أبي إن عليّ أن أشتري لك شيئاً بدل قدومك معي.

فهزت كارولين رأسها وهي تمنع العاملة من الذهاب لإحضار الثوب: «آه، لا.. شكراً على كل حال، ولكن لا... يمكنني أن أشتري ثيابي».

بدا الكدر على لورا: «ربما ما كان لي أن أخبرك، كان عليّ أن أشتري لك شيئاً دون أن أخبرك».

هزت كارولين رأسها: «وكيف كان يمكنك أن تفعلي ذلك؟ فأنت لست بقياسي، هذا إلى أنني لست بحاجة إلى شيء صدقيني..».

فبدت لورا أقل قلقاً: «هل أنت واثقة؟»

ـ كل الثقة.. والآن اذهبي وارتدي ثيابك فالساعة تكاد تبلغ الواحدة إلا ربعاً.

شهقت لورا: «أحقاً؟ مضى الوقت... أظنني سأرتدي للغداء ذلك الطقم العاجي الذي اشتريته للتو. نعم، يمكنني أن أرتديه وأذهب به إلى البيت، أما قميصي وبنطلوني الجينز فليرسلوها مع الأشياء التي اشتريتها، ألا يمكنهم هذا؟»

أومأت كارولين موافقة: «لا أدري ما يمنع هذا».

أخذت كارولين تجول في أنحاء المكان. كان لطفاً من جايمس أن يقترح شراء شيء لها هي أيضاً. وهذا نوع من الشهامة اعتادها كما فعل حين طلب من غروم أن يقلها إلى حيث تقابل جون في القرية ليلة أمس. وعبست عندما عادت إليها مشاكلها تهاجمها. ما الذي عليها أن تفعله بالنسبة إلى جايمس؟ إن حديثه عن انتظار بلوغ لورا الثامنة عشرة أمر يناسبه، ولكن هل سيتمكن من الانتظار كل ذلك الوقت؟ وإن استخدم الضغط عليها، فهل ستقدر على مقاومته؟ هذا إذا عرف شعورها الحقيقي نحوه..

عليها أن تصمم أمرها قبل نهاية الشهر، ولكن الافتراق عنه مرة أخرى سيكون مؤلماً للغاية.

«لاسوتيريل» مطعم صغير فخم.. وصلا إليه ولورا مرتدية ذاك الطقم العاجي الذي بدا رائعاً عليها. وصلتا بعد الواحدة بقليل فوجدتا أن جايمس لم يصل.

هتفت لورا تقول بفروغ صبر والنادل يسير بهما إلى المائدة التي كان حجزها أبوها: «هذا لا ينبغي أن يحدث، فالفتاة هي التي تجعل مرافقها ينتظر

وليس العكس».

أثناء كلامها، انفتح باب المطعم ودخل منه عدة أشخاص، لمحت كارولين في الخلف رجلاً أسمر طويل القامة. فقالت وهي تحاول أن توقف سرعة خفقان قلبها المفاجىء: «أظن قلقك قد انتهى فقد جاء أبوك كما أظن».

رفعت لورا بصرها بسرور: «أحقاً؟ آه، هذا صحيح، وانظري من جاء معه».

كان تريفور فروبيشر يتبع جايمس. استقرت عينا جايمس على كارولين ثم رفع حاجبيه وهو يرى ابنته: «حسناً، حسناً، ماذا حدث للطفلة؟»

عبست لورا في وجهه ثم عادت فابتسمت لتريفور: «مرحباً ما الذي تفعله هنا؟»

قال أبوها لاوياً شفتيه وهو يتهالك على كرسي بجانب كارولين: «صدقي أو لا تصدقي، جاء تريفور إلى المكتب».

دهشت لورا: «إلى المكتب؟ ولكن لماذا؟»

فقال تريفور بلهفة: «علمت أمك أنني آتٍ إلى المدينة هذا النهار، فاتصلت هذا الصباح بي مقترحة ما دام أبوك أيضاً، أن نتناول الغداء، ولم أكن أعلم أنه سيلتقي بك».

رأت كارولين عيني جايمس تنصبان عليها، فغضت بصرها باضطراب. إنها رسالة بسيطة الفهم، فهذه طريقة ديبوراه في التجسس عليه ومعرفة المكان الذي سيتناول فيه الغداء ومع من.

كان تريفور يحدث لورا عن سيارة ذهب لرؤيتها هذا الصباح. في هذه الأثناء حاولت كارولين أن تركز أفكارها على ما يقول، ولكن هذا كان صعباً وذراع جايمس ممتدة على مسند مقعدها.

وكان يسألها برقة: «هل كان صباحكما ناجحاً؟»

أومأت بقوة: «كان ناجحاً جداً، فقد اشترت لورا ثياباً جميلة جداً، أليس كذلك يا لورا؟»

قالت لورا: «آه، ماذا؟ آه، نعم».

ثم عادت بانتباهها إلى تريفور، ولاحت على شفتي جايمس شبه ابتسامة وهو يقول لكارولين وأنفاسه الدافئة تلفح وجنتها: «دعيهما وحدهما وتحدثي إليّ. أنا أحمق، أعرف هذا، ولكنني أريد أن أعلم ماهية شعورك نحوي حتى ولو كنت تكرهينني».

تملك كارولين الذعر لأنها خشيت أن يسمعها الآخران ولكن من الواضح أنهما لم يسمعا شيئاً.

تحركت كارولين في مقعدها وازداد جايمس اقتراباً منها، وأخيراً قالت بصوت خافت: «أنا.. أنا لا أكرهك. ولكنني لا أستطيع الاستمرار في العيش في منزلك. في نهاية الشهر...».

ـ هل تريد أن تشرب شيئاً يا سيدي؟

كان النادل يقف بجانب جايمس، فالتفت جايمس إلى الرجل مستاءً. وبعد حديث قصير ابتعد الرجل.

قال جايمس: «ما الذي ستفعلينه في آخر الشهر؟»

ـ يجب أن تعلم أن عليّ أن أرحل.

ـ بسببي؟

رفعت كارولين بصرها إليه، وعندما لم تستطع مواجهة النظرة التي بدت في عينيه عادت فغضته بسرعة وهي تقول: «جزئياً».

قال وقد بدا عليه التوتر: «لماذا؟ وما الذي فعلته لترحلي؟ ابتعدت عن طريقك قدر المستطاع. إنك جيدة جداً مع لورا، وماذا ستفعلين إذا رحلت؟»

أطلقت كارولين نفساً مرتجفاً: «لا أدري، أظنني سأبحث عن عمل آخر».

ـ في انكلترا؟

ـ لا أدري.

ـ هل لك أن تسمحي لي برؤيتك أحياناً؟

ـ لا.

جذب رفض كارولين انتباه لورا، فقطبت جبينها:

ـ ما الذي تتجادلان فيه يا أبي؟ ما الذي قلته لها؟

هزّ جايمس كتفيه ثم قال: «أنا والآنسة دوغلاس مختلفان في وجهات النظر في بعض الأمور. حسناً، هل نطلب الطعام؟»

كان من المستحيل الدخول في حديث خاص أثناء تناول الطعام، ولكن الوجبة انتهت أخيراً، وعند تناول القهوة اقترح جايمس توصيل تريڤور إلى بيته إذا كان يريد ذلك.

هتفت لورا: «حسناً، انتهينا من التسوق يا أبي، هل يمكننا أن نذهب جميعنا إلى البيت معاً؟»

قالت كارولين: لورا، قالت أمك إنها سترسل غروم إلينا بعد الظهر..

ولكن جايمس قاطعها قائلاً ببرودة: «لا أظنها قامت الآن بأي ترتيبات، ومرحباً بك عائداً معنا إذا شئت».

فقال تريڤور شاكراً: «أشكرك جداً يا سيدي».

قالت لورا بسعادة: «حسناً، ها قد اتفقنا إذن».

فقال جايمس وهو يوقع قائمة الطعام التي أحضرها له النادل: حسناً، عليّ الذهاب إلى المكتب لإحضار بعض الأوراق، فهل تريدون انتظاري أم تفضلون العودة معي؟

سألته لورا عاقدة جبينها: «ألا يمكننا أن نتمشى قليلاً؟ أيناسبك هذا يا تريڤور؟»

فأومأ تريڤور موافقاً ولكنه كان ينظر بشيء من الارتباك إلى كارولين، فأحست أنه لا يحب فكرة أن تكون مع لورا حارسة ترافقها، وعندما شعر جايمس بتردد الفتى، نظر في اتجاه كارولين:

ـ هل تريدين القدوم معي لرؤية مكاتب «صناعات بوث»؟ أم تفضلين البقاء مع الطفلين؟

سارعت لورا تقول: «آه، نعم. اذهبي معه يا آنسة دوغلاس».

وضعها قول لورا في موقف لا يمكن تجنبه، فقالت: «حسناً جداً».

وكانت تعلم أن صوتها كان بارداً منزعجاً، فقالت لورا وهي تقف: «اتفقنا إذن، ستراكما فيما بعد، يا أبي. في أي وقت؟ هل نقول... بعد ثلاثة أرباع الساعة؟»

نهض جايمس الذي أخذ يقفل سترته ثم قال: «إنه وقت كافٍ، ستراكما قرب محطة «كوينزواي» فترقبا السيارة».

أومأت لورا برأسها، وبعدما ابتسمت لكارولين معتذرة، خرجت مع تريڤور. وخارج المطعم، استدعى جايمس سيارة تاكسي، وعندما أصبحت في المقعد الخلفي جلست بعيدة عنه قدر المستطاع.

قالت: «لم يكن هذا ضرورياً على الإطلاق. لم أكن بحاجة إلى الذهاب معهما، كان بإمكاني أن أركب القطار إلى البيت فهذا يوم عطلتي».

لم ينطق جايمس بجواب وهو يجلس بجانبها متراخياً ويداه على فخذيه.

قالت له بتردد: «جايمس...».

فالتفت ينظر إليها مكتئباً:

ـ لا بأس، يا كارولين، لا تخافي مني، لم أحضرك إلى مكتبي لكي أغويك، فلديّ حقاً بعض الأوراق التي عليّ إحضارها. يمكنك إذا شئت أن تنتظري في الطابق السفلي.

نظرت كارولين من النافذة شاردة الذهن. عليها أن تخبره بأمر ديبوراه لا التصرف كعذراء انتُهكت حرمتها. ولكنها وجدت صعوبة لا تصدق في العثور على طريقة تقترب فيها من الموضوع بدون أن تجعل الوضع أسوأ.

كانت ناطحة السحاب في «إمبانكمنت» مبنىً قبيحاً مبنياً من الزجاج والأسمنت. ولكن ما إن يصبح الشخص داخل الأبواب الزجاجية، حتى تمحو الديكورات الأنيقة تلك الصورة.

ما إن دخلا إلى المبنى، حتى خرج حارس يرتدي زياً رسمياً من مكتبه وعيناه على كارولين بفضول، ثم نظر إلى جايمس: «هل ستمكث مدة طويلة يا سيدي؟ أم أحضر لك السيارة الآن؟»

قال جايمس: «سأحضرها بنفسي، شكراً يا تشارلس».

نظر إلى كارولين: «الآنسة دوغلاس ستنتظر هنا بينما...».

ـ لا، أعني، لا بأس يا جا... يا سيد بوث، سأرافقك.

لم يكد جايمس يسمع هذا وهو يسير بخطوات واسعة إلى المصعد وهذا ما جعل كارولين تركض لكي تتمكن من مجاراته في السير، وطوال الوقت الذي استغرقه صعودهما إلى الطابق الأعلى لم يتحدث إليها، وعندما انفتح الباب خرج مسرعاً إلى الممر.

انتظر وصولها قبل أن يدخل ما بدا أنه مكتب سكرتيرته، ثم فتح الباب الداخلي الذي يؤدي إلى مكتبه الخاص، لم تكد تجد وقتاً لترى مبلغ جمال المكتب لأن جايمس أغلق الباب ثم سمّرها وراح يعانقها وهو يهمس قائلاً: «أردت القيام بهذا طوال فترة الغداء».

قالت محتجة: «ولكنك قلت إن هذا لن يحدث؟».

قال بجفاء: «ما كان لهذا أن يحدث لو امتنعت عن مرافقتي إلى هنا. ولكنك تريدينه بمقدار ما أريده أنا، أليس كذلك؟»

هزت كارولين رأسها ولكنه عاد يعانقها وهو يقول:

ـ أوه يا كارولين، إنني أفعل شيئاً كان عليّ أن أقوم به منذ سنوات.. شيئاً إذا عرفت به ديبوراه سيعني أننا انتهينا، ولتفعل ما تشاء فلن أهتم بشيء بعد الآن».

ـ جايمس.. إنك لا تعني ذلك.

ـ كارولين، أنا أحبك وأحب لورا أيضاً، ولكن إنني بحاجة إليك ربما أكثر مما تحتاجني هي.

تنفست كارولين بعنف، ثم جذبت نفسها بعيداً عنه رغم ما وجدته من عذاب في ذلك. سارت إلى منتصف الغرفة تصلح من ملابسها وهي توليه ظهرها وتقول: «جايمس، أنا أحبك ولم أتوقف عن حبك قط، لقد أدركت ذلك منذ فترة ولكن...».

ـ أواه يا كارولين، إنك تعلمين ما تفعلينه بي، أليس كذلك؟ إنني أريدك يا كارولين، اهربي معي يا كارولين وسأحصل على طلاق، على أي شيء

تريدينه، فقط لا تبعديني عنك.

كانت كلماته تسكرها حتى لم تكد تستطيع مقاومتها. إن قضاء بقية حياتها مع جايمس هو كل مناها، ولكن هل بإمكانها أن تسمح له بالقيام بما يقوله؟ وعلى حساب زوجته وابنته؟ كانت تعلم أنها لا تستطيع ذلك.

وقالت وهي غير قادرة على مقابلة نظراته: ـ

ـ لا يمكنك أن تفعل هذا يا جايمس، فأنا.. أنا لن أسمح لك.

ـ ولماذا لا؟

جعلتها كلماته المختنقة تستدير إليه، وقالت ببطء: «جايمس، لقد أخبرتني هذه الصباح كيف ستتصرف ديبوراه إذا أنت تركتها، وكيف أنها قد تسمّم عقل لورا ضدك. وسواء صدّقت أم لا، فأنت ستندم على منحها تلك الفرصة عاجلاً أم آجلاً، أما الآن... الآن...».

فتمتم يقول بعنف: «أما الآن فأنا أريدك، لا تقولي إنك لا تشعرين بنفس الشيء».

فتنهدت: «جايمس، إنني طبعاً أريدك ولكنك الآن لا تفكر إلا في الحاضر وليس المستقبل. لا بأس، فلنفرض أنك تركت ديبوراه وأنها وافقت على الطلاق، فما الذي ستظنه لورا بك؟ انتظرنا طويلاً يا جايمس، أفلا تستطيع الانتظار أكثر قليلاً فقط؟»

ـ وهل يمكنك ذلك؟

أشاحت بوجهها عنه: «سيتوجّب عليّ ذلك، أليس كذلك؟»

ران الصمت عدة لحظات قال بعدها بصوت فظ: وإذا رفضت؟

سكت لحظة ثم عاد يقول: «ألا تهربين معي؟»

شعرت كارولين بالدموع توشك أن تتدفق من عينيها، فالتفتت تحدق إليه وقد تملكها التوتر وارتجفت شفتاها:

ـ آه.. آه، نعم، نعم. نعم، سأهرب معك، إذا كان هذا ما تريده حقاً. ولكن هذا لا ينبغي لنا.. لا ينبغي لنا..

عند ذلك تقدم جايمس نحوها ووضع يديه على كتفيها يجذبها إليه:

www.liilas.com/vb3 Love shades

ـ آه يا كارولين. شكراً، شكراً لقولك هذا، ظننت أنني جننت.

فقالت: «وماذا ستفعل؟»

تنهّد طويلاً وأدركت أنه عاد فتمالك نفسه مرة أخرى: «أعلم أنك على صواب بالنسبة إلى لورا، ولكن أن تطلبي مني أن أنتظر سنتين أخريين.. إلى أين ستذهبين إذا تركت بيتي؟ وكيف أراك؟»

ـ لا أظنّ أن علينا ذلك.

أظلمت عيناه: «ماذا؟ أنت مجنونة. يا إلهي يا كارولين، ديبوراه لن تعلم أبداً».

ـ قلت هذا ولكنها عرفت بالأمر بشكل ما.

قال عابساً: «ماذا؟»

ـ ديبوراه تعلم.. بما جرى بيننا منذ ست سنوات.

فقال وهو يميل رأسه: «ومن أخبرك بذلك؟»

قالت مترددة: «كان هذا شيئاً قاله جون موني، هذا كل شيء».

أخذ يحدق إليها: «موني؟ أتعنين الليلة الماضية؟»

أومأت تقول: «نعم».

ـ يا إلهي، وكيف علم بذلك ولماذا خرجت معه الليلة الماضية؟

لم تعرف كارولين كيف تبدأ، وأخيراً قالت:

ـ حسناً، هل تتذكر ذلك النهار الذي جاء فيه إلى المنزل.. عندما ذهبت معه على دراجته البخارية؟

ـ وهل أنسى ذلك؟

وانحنى يضمها، فهتفت وقلبها يخفق: «آه، يا جايمس، أرجوك. دعني أخبرك أولاً».

ـ كارولين، ما دامت ديبوراه على علم بأمرنا فليس علينا أن ننتظر. ألا تفهمين هذا؟»

قالت: «ولكن الأمر ليس بهذا الشكل. جون...».

ـ جون؟

ـ نعم، جون. تلقى اتصالاً تليفونياً أو هذا ما قاله، يقول إنه مني وإنني أريده في منزلكم.

ـ ولكن ألم تتصلي به؟

ـ وهل أفعل شيئاً كهذا؟

بدا الجد على وجه جايمس لحظة: «لقد أشارت ديبوراه أمامي أنك كنت تعرفين موني قبل حضورك للعمل عندنا».

شهقت كارولين: «ماذا؟ ولكن هذا غير صحيح».

ـ استمري.

لاحظت أنه لم يقل ما إذا كان صدّقها أم لا، ولكن كان عليها أن تستمر:

ـ حسناً، لم نعرف قط من قام بذلك الاتصال. ولكنني أردت أن أتحدث إليه عن لورا، لا أدري لماذا كانت لدي فكرة جنونية بأنه قد يتحدث إلي. وقد فعل، لقد طمأنني إلى أنه لا يتخيل أنك قد تسمح له يوماً بالزواج بلورا. ويبدو أنها وبعض الفتيات الأخريات هن اللاتي قمن بالتقرب إليه، وقد اعتبرت هي الأمر جاداً أكثر مما كان هو ينوي.

عندما وصلت بحديثها إلى هذه النقطة، أخذ جايمس ينظر إلى الفضاء بذهن شارد، ما جعلها تنظر إليه بشيء من القلق: «أنت تصدقني، أليس كذلك؟ جايمس، أقسم لك أنني لم أعرف جون موني قبل ذلك النهار الذي جاء فيه إلى المنزل».

نظر جايمس إليها بغموض أولاً، ثم عندما رأى اهتمامها، تلاشت نظرة الحذر من عينيه وقال بثبات: «أصدقك. هل من مزيد؟»

أومأت تقول: «لقد اتصل إلى المنزل بعد ذلك طالباً التحدث إليّ. لا أدري كم من المرات اتصل أو ما إذا تحدث إلى أي شخص آخر وأظنه فعل. ولكنك دخلت عندما كنت أتحدث إليه».

ـ ولكن لماذا وافقت على الخروج معه؟ لا تخبريني أنك كنت تريدين أن تتحدثي معه عن لورا.

ـ لا، لم يكن هذا هو السبب يا جايمس، لم أعلم ما عليّ أن أفعل.

كانت لورا مع تريڤور . . آه، يا إلهي . . . إنهما ينتظراننا الآن.

أجابها: «فلينتظرا، واستمري في كلامك».

تنهدت كارولين: حسناً، هددني بأنه سيعاود الاتصال ويطلب لورا إن لم أخرج معه. أعلم أن لورا ستتكدر إذا عرفت بالأمر. . كنت خائفة مما قد يقوله لها عني.

ـ ماذا قال لك؟

ـ سألني عما إذا كنت أفضل أن أكون معك.

رفع جايمس حاجبيه: «أحقاً؟ وماذا كان جوابك؟»

ـ أنكرت ذلك . . . وماذا كان بإمكاني أن أقول؟ أنني أفضل لو كنت خارجة مع والد تلميذتي؟

فهز رأسه: «لا بأس، وماذا بعد؟»

ـ سألته عن سبب إلقائه هذا السؤال، عند ذلك قال إن ديبوراه أخبرته بذلك.

بدت الحيرة على جايمس: «يا له من قول شيطاني!»

ـ لا أدري. ولا أظنه صدق هذا في البداية، ولكن عند ذلك . . استعملت اسمك الأول فساوره الشك.

خلّل شعرها بأصابعه وهو يقول: «لا تقلقي يا حبيبتي، فسينكشف الأمر عاجلاً أم آجلاً».

ـ أعلم ذلك ولكن ما دامت ديبوراه على علم فلماذا لم تقل شيئاً؟ أعني أنها طلبت مني هذا الصباح أن أذهب للتسوّق مع لورا، هذا شيء غير مفهوم.

قال جايمس بجفاء: «لا شيء تفعله ديبوراه هذه الأيام يبدو مفهوماً»

أراح رأسه على مسند المقعد.

ـ يا له من لغز غامض، أليس كذلك؟ ليس من عادة ديبوراه أن تعرف شيئاً كهذا ثم تسكت، إلا إذا تغيرت. أعلم أنها لم تكن على ما يرام صحياً مؤخراً، فقد استشارت الطبيب عدة مرات، ولكن عندما سألتها أنكرت أي شعور بالمرض، فما الذي يمكنني عمله؟

قالت: «ربما تريد أن تعرض عليك الطلاق».

ولكنه هز رأسه: «لا أظن ذلك، قالت لي هذا الصباح إنها تقوم بترتيبات رحلة بحرية في شهر آب لنا جميعاً . . . مع آل فروبيشر».

ـ وهل سيذهب معكم تريڤور؟

ـ ربما، ولكنني لن أكون معهم.

ـ ربما يتوجب عليك ذلك يا جايمس، لأجل لورا.

فسألها: «وماذا ستفعلين أنت؟»

ـ أبقى في لندن.

ـ مع «فرانكلاند»؟

ـ آه، يا جايمس، أظنني أخبرتك عنه، نحن صديقان. . زميلا دراسة إذا شئت، وهو معلم أيضاً، ستحبه لو عرفته فهو ظريف الشخصية.

أظلم وجه جايمس، وانحنى يعانقها عناقاً عنيفاً أوهن قواها وزاد من شوقها إليه. ثم أبعدها وهو يشتم ونهض واقفاً.

نظرت إليه بقلق: «جايمس، هل حدث أمر سيء؟»

قال والكآبة في عينيه: «كل شيء سيء، أليس كذلك؟

مدّ يده يتناول سترته وهو يضيف عابساً: «ولكنك ملكي . . . لا تظنيني سهلاً، يا كارولين، فلن أدعك ترحلين مرة أخرى».

قالت كارولين: «تعلم أن المفروض بي أن أتناول العشاء مع كليف لستر وأمه الليلة».

كان أثناء كلامها يخلّل شعره بأصابعه، فرأت كيف جمدت يده على رقبته: «لم أعرف هذا».

تنهدت: «لقد طلب مني ذلك يا جايمس، و . . . وفي ذلك الوقت بدت لي الفكرة جيدة».

ـ لماذا؟

ـ حتى . . لئلا تظن أنني أهتم بك. جايمس، لقد ألقت ديبوراه بنا على بعضنا البعض، فعدا عن عدم رغبتي في إظهار سوء الأدب والتهذيب لم تكن

هناك طريقة . . . لا يهمني كليف لستر يا جايمس. لا يهمني أحد سواك.

وأحنت رأسها. ران الصمت عدة لحظات، ثم بدا أنه يقترب منها فرفعت رأسها تشهق باكية وتلقي بنفسها بين ذراعيه، شاعرة به يرتجف وهو يدفن وجهه في شعرها.

سمعت كارولين الأصوات في الممر قبل أن يسمعها هو بثوان، فابتعدت عنه وهي تقول بذعر:

ـ أظنها لورا . . وتريڤور.

تجهّم وجه جايمس: «آه، يا إلهي. ما الذي يريدانه؟»

قالت وهي تحاول تسوية شعرها: «ماذا سيظنانه؟»

بدا وجهها خالياً من أي زينة. نظر جايمس إليها وقد ضاقت عيناه ثم قال بهدوء:

ـ سيسيئان الظن بنا فالشعور بالذنب مرتسم على وجهك، فاهدئي. الأمر لا يهمني.

فصرخت: «ولكنه يهمني أنا، أليس هناك مخرج آخر من هنا يا جايمس؟»

قال وهو يشير إلى باب آخر لم تسبق لها رؤيته:

ـ استعملي الحمام وكفى قلقاً، فأنا أحبك.

لم تكد كارولين تغلق باب الحمام حتى سمعت صوت لورا وتريڤور يدخلان إلى مكتب جايمس.

قالت لورا متذمرة: «ما الذي تفعله يا أبي؟ انتظرنا عند المحطة ثم قررنا التمشي لملاقاتك. أين الآنسة دوغلاس؟»

رد جايمس بجفاء: «في الحمام، كنا على وشك الخروج. آسف لهذا التأخر ولكنني أريت الآنسة دوغلاس أنحاء المكان».

قال تريڤور شيئاً عن المنظر الذي تطل عليه نوافذ مكتب جايمس، في هذه الأثناء كانت كارولين تعيد زينة وجهها بسرعة وتمشط شعرها، وعندما خرجت من الحمام، كانت أقل اضطراباً.

هتفت لورا وهي تتأملها بفضول: «ها أنت ذي. . وجهك متورد يا آنسة دوغلاس، هل حاول أبي مضايقتك؟»

تبادلت كارولين نظرة مع جايمس الذي سار نحو الباب متكاسلاً وهو يقول لها بينما كانت تمر به في طريقها إلى الباب: «اهتمي بشؤونك الخاصة يا لورا وسأهتم أنا بأمر الآنسة دوغلاس».

* * *

LOVE_Shades
liilas.com/vb3

٨ ـ يدّ الشيطان

لم تستطع كارولين الاستمتاع بالسهرة في منزل لستر مع أن السيدة لستر كانت لطيفة للغاية، فقد انشغلت أفكارها في ما يدور في المنزل، ولم تكد تساهم بالحديث الذي كان يدور خلال العشاء.

جلس الجميع بعد ذلك في غرفة الجلوس الجميلة التي كانت مترفة الأثاث إلا أنها مريحة لا يبدو عليها ذلك التكلف الموجود في منزل ديبوراه.

قالت لها السيدة لستر وهي تناولها كوب القهوة:

ـ أخبرني كليف أنك عملت في سريلانكا يا آنسة دوغلاس. أظنك وجدت فرقاً كبيراً بين ذلك وبين العمل عند آل بوث؟

فقالت كارولين وهي تحرك القهوة: «فرقاً كبيراً جداً».

تابعت المرأة تقول وهي تضيف إلى فنجانها مزيداً من السكر والقشدة: «ولكنك نجحت مع لورا الصعبة المراس».

قالت كارولين بصدق: «أحب لورا وطباعها ليست بتلك الصعوبة».

استندت السيدة لستر إلى الخلف وكوب القهوة بيدها: «ماذا بالنسبة إلى مخدوميك؟ هل أنت منسجمة معهما؟»

تمنت لورا لو بإمكانها تجنب هذا النوع من التحقيق، قالت: «أنا.. لا أراهما كثيراً».

وكان هذا صحيحاً.

فقطبت والدة كليف جبينها: «إممم... ربما هذا هو المنتظر، فديبوراه ليست امرأة سعيدة، أليس كذلك يا كليف؟»

ـ وهي ليست امرأة سليمة الجسم يا أماه.

ـ أعلم هذا، فقد أخبرتني آبرين فرويبيشر بأنها تشعر بألم هائل في عمودها الفقري. إنها محطمة كما تعلمين، ولكن، على كل حال، اللوم في الحادث الذي وقع لها يقع عليها وحدها.

ـ أمي.

ـ حسناً، إنها الحقيقة فلماذا نخفي الأمر عن الآنسة دوغلاس؟

ـ آه، في الواقع أنا...

لم يسمع أحد احتجاج كارولين والسيدة لستر تتابع قائلة: «وهي تلوم ذلك الرجل المسكين لسقوطها، كانت حاملاً حينذاك وما كان لها أن تركب الخيل على الإطلاق. ولكنها كانت مجنونة بركوب الخيل، وكانت غاضبة كثيراً لأنها كانت ستلد».

شعرت كارولين بالذعر، فحتى الآن لم يخبرها أحد بتفاصيل الحادث الذي وقع لديبوراه، فجايمس لم يتحدث عن ذلك قط وكانت دوماً تفترض أن ذلك نتيجة خطأ فادح.

ـ كادت نخسر الطفلة، فقد ولدت قبل أوانها وبقيت أسابيع في وضع دقيق خطر، ولكنها لم تهتم بذلك بل لم تشأ أن ترى الطفلة.. أو زوجها.

ـ أمي، كفى.

قالت السيدة لستر بعزم: «دمرت حياتهما، أي نوع من الحياة بقيت لأي منهما؟ إنها امرأة حقود محبة للانتقام يا كليف، وإذا استطاعت أن تضرّ بجايمس فستفعل. لماذا لم تطلقه منذ سنوات؟ إنها لا تحبه ولا أظنها أحبته قط، فهي أنانية تحب التملك. تريد أن تبقيه مرتبطاً بها قدر إمكانها ولو كنت مكانه لتركتها».

اندفعت كارولين تقول: «ولكن كانت هناك لورا».

تورد وجهها عندما التفت كليف وأمه ينظران إليها.

راحت السيدة لستر تتأمل ملامح ضيفتها الشابة لحظة، ثم أومأت تقول: «طبعاً، لماذا لم أفكر في ذلك؟»

أوصل كليف كارولين إلى بيتها بعد العاشرة مباشرة. وتجنبت هي عناق

التحية المعتاد بنزولها من السيارة قبل أن تقف. تغيرت ملامح كليف وهو ينظر إليها من خلال زجاج السيارة خلف عجلة القيادة، ثم قال:

ـ أوضحك وجهة نظرك ولكنني لم أكن سألمسك.

تنهدت كارولين: «آسفة يا كليف، أنا معجبة بك إنما لا جدوى من التظاهر بأي شيء أكثر من هذا».

ضغط كليف على عجلة القيادة وهو يقول:

ـ بسبب جايمس، أليس كذلك؟ تكهنت بذلك الأسبوع الماضي، ولكنني كنت أرجو أن أكون مخطئاً. ثم الليلة، عندما كانت أمي تتحدث...

عاد ينظر إليها مرة أخرى: «أنت المرأة التي عرفها منذ خمس أو ست سنوات. علمت أنه كانت لديه صديقة، ولكنني لم أعرف اسمك قط»

شهقت كارولين وبداها تتمسكان بالنافذة المفتوحة:

ـ ولكن كيف عرفت؟ لم يعرف أحد بأمرنا؟

ـ لا تكوني حمقاء يا كارولين. والد جايمس كان يعلم وكذلك آل فروبيشر. كان جايمس يصطحبك للنزهة في زورقه، أليس كذلك؟ فكان لا بد لدايفد فروبيشر من أن يعلم، فهو سكرتير نادي اليخوت.

رفعت كارولين يدها إلى فمها: «آه، لا، ما أشد ما كنا أحمقين عندما ظننا أن بإمكاننا أن نحتفظ بسرنا عن الآخرين».

قال كليف بفتور: «وما أهمية ذلك؟ فلا أحد يلوم جايمس، وكما سبق أن قلت لك ديبوراه في منتهى السوء».

قالت كارولين بمرارة: «إنها زوجته»، ثم تحولت مبتعدة.

* * *

بعد ظهر يوم الأحد، أرسلت ديبوراه تستدعي كارولين.

أمضت معظم الصباح في السرير خائفة من النهوض، خائفة من مواجهة حقيقة أن أيامها في هذا البيت على وشك الانتهاء.

كان التفكير في الرحيل، التفكير في إنكار حقها في رؤيته مدة سنتين أخريين، كان في هذا عذاب بالغ. ولكن عليها، بشكل ما، أن تجد القوة

للقيام بذلك. ومع ذلك عندما أرسلت ديبوراه تستدعيها، فارقتها رباطة الجأش.

كانت مخدومتها بانتظارها في شرفة المنزل الخلفية، تحيط بها الأزهار بينما تعرش أشجار الياسمين على شبكة من الحديد. وخلف الفناء وحديقة الورود، كانت كارولين تسمع أصوات الضحك ورشاش المياه من حوض السباحة. تسمّرت مكانها عندما قالت لها ديبوراه: «الجوّ رائع بالنسبة للسباحة، ألا تظنين ذلك يا آنسة دوغلاس؟ لورا تعبث مع أبيها فهما معاً كالأطفال. كما أن جايمس يعشق الماء سباحة وتجذيفاً... هل تحسنين السباحة يا آنسة دوغلاس؟»

كانت يدا كارولين تلتويان معاً خلف ظهرها، فأجابت بأدب: «نعم، يا سيدة بوث، أنا أحسن السباحة».

ـ نعم، توقعت أن يناسبك هذا.

ـ لم أكن أحب قط السباحة وكنت أفضل ركوب الخيل. هل تحسنين الفروسية يا آنسة دوغلاس؟

أجابت كارولين وقد انغرزت أظافرها في راحتيها: «لا، مع الأسف. هل أردت رؤيتي يا سيدة بوث؟»

التفتت ديبوراه تنظر إلى الفتاة مرة أخرى، ثم قالت بتلك الابتسامة المخادعة كالعادة:

ـ أريد منك أن تتعشي معنا هذه الليلة مرة أخرى. تريد لورا فرصة تتباهى فيها بثيابها التي اشترتها أمس، وبما أنك كنت معها فمن الطبيعي أن ترغب أن تريها أنت أيضاً.

ـ آه، في الحقيقة، يا سيدة بوث، أنا..

هتفت السيدة بوث بصبر فارغ: «ليس لديك عمل هذا المساء، أليس كذلك؟»

ـ ليس بالضبط، لا، ولكن...

ـ هذا حسن جداً، إذن.

ـ أظن يا سيدة بوث أن علينا أن نتحدث بشأن نهاية . . .

قاطعتها ديبوراه: «أعرف ذلك، تعنين فترة شهر الاختبار معنا. أدرك أنه لم يبق سوى أيام قليلة وأنت لا تريدين البقاء معنا، أليس كذلك؟»

فقالت بارتباك: «أنا . . . لا . . .».

ـ لا بأس بذلك، يمكنك أن تذهبي الآن يا آنسة دوغلاس. أعدك بأن نتحدث فيما بعد.

* * *

ارتدت كارولين البنطلون والقميص الأسودين اللذين ارتدتهما في أول ليلة لها في هذا البيت، ومعهما قميص من الدانتيل عاجي اللون. كان هذا الطقم بسيطاً جميلاً ولكنها تعرف أنه عليها أن تكون الليلة واثقة من نفسها.

كان الثلاثة في انتظارها في غرفة المكتبة. بدت لورا مهتمة برأي كارولين بمظهرها، كانت ترتدي تنورة مزركشة طويلة فضفاضة وتعقد شعرها فوق أذنيها فبدت ناضجة نحيفة طويلة القامة.

هتفت الفتاة ضاحكة: «هل أبدو أكبر سناً؟ إنه حذائي، انظري».

اغتصبت كارولين ابتسامة لها ولديبوراه، بينما سارع جايمس إليها يسألها بأدب عما تريد أن تشرب.

فقالت بسرعة متجنبة عينيه: «آه، أي شيء بارد. لا بأس بعصير الليمون».

لم يناقشها جايمس، وتابعته هي بنظراتها وهو يجتاز الغرفة. لم يكن يرتدي بذلة العشاء هذا المساء، ولكن بذلته البرونزية كانت رائعة الأناقة مبرزة عرض كتفيه وعضلات ساقيه القوية.

عندما شعرت بأن ديبوراه تراقبها، أسرعت تقول:

ـ كان اليوم جميلاً، أليس كذلك؟

فقالت لورا: أمضيت الوقت أنا وتريفور في البحيرة:

ـ أخبرتني أمك أنك كنت وأبيك تمتعان نفسيكما.

وقطبت لورا حاجبيها:

ـ لم يكن أبي معنا.

قالت ديبوراه ببرودة: «لا بد أنك أسأت الفهم يا آنسة دوغلاس».

وإذ رأت كارولين نظرات جايمس الرزينة إليها، لم تشأ أن تكذبها.

قدم جايمس لها العصير، فشكرته بلهجة آلية وهي تتساءل عما يجعل ديبوراه تبتهج بمضايقة الآخرين.

شعرت بالراحة عندما جاءت جيني تخبرهم بأن العشاء جاهز، إذ سيكون بإمكانهم الانشغال بتناول الطعام. ولكن أثناء تناولهم الروستو، قررت ديبوراه تبديد هذا الهدوء الهش فقالت بعفوية:

ـ أخبرتني الآنسة دوغلاس بأنها تريد أن ترحل آخر الأسبوع.

هتفت لورا منزعجة: «ماذا؟» التفتت الفتاة إليها بعدم تصديق:

ـ أمي تمزح، أليس كذلك؟ أنت لا تريدين حقاً أن تتركينا، أليس كذلك؟

ـ أنا . .

وقبل أن تتمكن كارولين من قول أي شيء، عادت ديبوراه تقول: «أنا لا أمزح يا لورا، فقد أخبرتني الآنسة دوغلاس هذا بنفسها بعد الظهر».

أدركت كارولين أنها أصبحت في مأزق، وكانت تأمل أن تخبر لورا بالأمر بنفسها وليس بهذه القسوة. قالت: «حسناً، نعم، ولكن . . .».

عادت لورا تقول: «لماذا؟ كنت أظنك مسرورة هنا. ظننت أننا منسجمتان معاً وأننا صديقتان؟»

ـ ونحن كذلك يا لورا.

قالت ديبوراه بقسوة: «لا أظن كارولين صديقة لك يا لورا، كما أنها ليست صديقة لي».

ونظرت إلى كارولين بتحدٍ ثم تابعت تقول: «اتخذناها مربية ومرافقة لك . . لكي تساعدك في نسيان افتتانك بذلك الرجل موني. وبدلاً من ذلك، شجعت الآنسة دوغلاس الرجل على القدوم إلى هنا وتحدثت معه تليفونياً، والأكثر من ذلك خرجت معه بنفسها».

تجاهلت ملامح لورا الذاهلة وتابعت تقول: «لقد سألت نفسي كيف

يمكنها أن تنشىء مثل هذه العلاقة معه في مثل هذه الفترة القصيرة. وكان الجواب واضحاً... فقد عرفته قبل مجيئها إلى هنا».

قالت كارولين بذعر: «لا! هذا غير صحيح».

نظرت إلى جايمس بعجز وطمأنتها النظرة التي بدت في عينيه وهو يقول بهدوء: «ليس لديك برهان على ذلك يا ديبوراه».

قالت لورا: «لم تتحدث الآنسة دوغلاس إلى جون إلا لأنني أنا طلبت منها ذلك، وهي لم تخرج معه».

وضعت ديبوراه الشوكة والسكين ثم انحنت لتلتقط حقيبة يدها من الأرض ثم أخرجت منها رسالة لم ترها كارولين قط من قبل وعرضتها وقد بان على وجهها الانتصار.

قالت: أحقاً؟ إذن فهل هناك من يخبرني لماذا يراسلها؟

شهقت كارولين: «ولكنه لم يفعل...».

قاطعتها ديبوراه وهي تمدّ يدها لابنتها بالرسالة:

ـ هل هذا خط موني أم لا يا لورا؟

طرفت لورا بعينيها وهي تنظر إلى اسم كارولين مكتوباً بخط واضح مستعجل. ثم ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تقول متلعثمة: «يبدو مثل خطه».

قال جايمس وهو يختطف الرسالة من يد زوجته:

ـ دعيني أراها.

وأخذ يقرأ ما كتب على الغلاف، نظرت إليه زوجته وشبه ابتسامة تتلاعب على شفتيها ثم قالت برقة: «لماذا لا تقرأها يا جايمس؟ فقد قرأتها أنا».

تقبضت يدا كارولين على حافة المائدة وهي تنظر إلى وجه جايمس المتجهم، وقالت:

ـ نعم، اقرأها. لماذا لا تقرأها لنا جميعاً لأنني لم أرها قط.

ـ أحقاً لم تريها؟

سألتها لورا هذا بحزن.

قالت ديبوراه بقسوة: «اسألي الآنسة دوغلاس إلى أين ذهبت مساء

الجمعة».

نظرت لورا إلى أمها بمرارة قبل أن تعود فتنظر إلى كارولين التي انتفت وهي تشعر بالضياع بسبب ما ارتسم على وجه لورا عندما سمعت هذه الكلمات.

هتفت تقول: «آه، يا لورا. خرجت مع جون موني ليلة الجمعة حقاً، إنما ليس للسبب الذي تريد أن تظهره أمك. كان غرضي بريئاً...».

سأل جايمس بصوت خشن: «من أين حصلت على هذه الرسالة يا ديبوراه؟ هل كنت تفتشين في أمتعة كارولين؟»

رأت كارولين كيف اتسعت عينا لورا وهي تسمع أباها يقول اسمها الأول بعفوية، وكانت ستقول شيئاً لو لم تختر ديبوراه هذه اللحظة لكي تفجر قنبلتها الأخيرة.

قالت بتحدٍ: ولِمَ لا؟ آه، مسكينة لورا ومسكين جايمس. أخشى أن تكونا أنتما الاثنين مخدوعين.

بدا العذاب في عيني لورا:

ـ نحن الاثنان؟ ما الذي تقولينه الآن يا أمي؟

ـ لورا، حان الوقت لكي تعلمي الحقيقة. إن الآنسة دوغلاس أو كارولين كما يقول أبوك، كانت عشيقة أبيك منذ سنوات...

صرخت لورا بصوت مثير للشفقة: «لا».

ـ... ولا شك أنه يتألم لأجلها كما تتألمين أنت بسبب موني.

دفعت كارولين كرسيها إلى الخلف وهبت واقفة وهي تحدق بيأس إليهم جميعاً.

قالت: هذا غير صحيح. لم أكن عشيقته قط، ومهما كانت محتويات الرسالة فلا شأن لي بها.. لم أر قط هذه الرسالة وأنت تعلمين ذلك.

عادت ديبوراه تقول لزوجها: «لماذا لا تقرأها، يا جايمس؟»

في هذا الوقت كانت كارولين تعتصر يديها، ثم صرخت وهي ترى المرأة تجلس في كرسيها بهدوء مستمتعة بما أحدثته من فوضى وبلبلة، صرخت

تقول: «يا لك من شريرة.. شريرة، فأنت تعلمين أنك لا تقولين الحقيقة».

ـ أبي... هل كنتما أنت والآنسة دوغلاس عشيقين؟»

تضمن سؤال لورا المذهول اليأس والتضرع ولكن مزاج جايمس لم يكن يسمح له بلومها فتمتم بقول بعنف وهو يقلب الغلاف في يده: «وماذا لو كنا؟ وما هو نوع الحياة التي تظنينني أعيشها هنا؟»

ـ آه يا أبي.

هبت لورا واقفة ثم اندفعت هاربة من الغرفة. ولكن عندما تحركت كارولين وكأنها تريد اللحاق بها، أمسكت أصابع ديبوراه النحيلة بمعصمها وأمرتها ببرودة: «دعيها وحدها. ألا تظنين أنك سببت ما فيه الكفاية من الدمار هنا؟ لم تعد بحاجة إلى خدماتك ويمكنك أن تحزمي أمتعتك وتغادري هذا المنزل بأسرع ما يمكنك، وكلما كان ذلك أسرع، كان أفضل».

سحبت كارولين معصمها من قبضة ديبوراه وهي تشعر بالغثيان، وكان جايمس ما يزال في كرسيه يقلب الرسالة بمرارة ولكنه لم يحاول النظر إليها وهذا ما جعلها تتكهن بأن ديبوراه نجحت في خطتها، فقد أقنعت موني بشكل ما أن يكتب تلك الرسالة، واستطاعت مخيلة كارولين أن تتكهن الكلمات والجمل اللعينة التي احتوتها، وجايمس سيقرأها لأن ديبوراه ستصر عليه بهذا. وبعد ذلك... لا شك أن كل شيء سيستمر كما كان من قبل، ستشعر بالرضا وهي تعلم أنها قتلت عصفورين بحجر واحد، فقد خاب أمل لورا بجون موني، وستجد التعزية دون شك مع تريفور فروبيشر، هذا بينما جايمس... جايمس لن يحن بعد الآن إلى امرأة يحتقرها.

شهقت شهقة ملؤها الاختناق وارتدت على عقبيها ثم أخذت تصعد الدرج ركضاً وكأن الشيطان يلاحقها. ولم يستغرق منها حزم أمتعتها وقتاً طويلاً، لأنها أخذت تكوّم حاجياتها في الحقائب كيفما اتفق. بل لم تزعج نفسها بتغيير ملابسها، وبعد نظرة أخيرة إلى ما حولها عادت فنزلت إلى الطابق الأسفل.

دهشت وهي ترى غروم بانتظارها في الردهة. قال لها: طلب مني السيد

بوث أن أقلك إلى المكان الذي تريدينه.

أرادت كارولين أن ترفض، ولكن فكرة السير وحقيبتان في يديها هزمتها. فتبعت غروم إلى السيارة ثم طلبت منه أن يقلها إلى محطة ريدنغ.

* * *

بعد ذلك بثلاثة أيام، قرأت كارولين في الصحيفة أن ديبوراه أصيبت بانهيار أدخلت على أثره المستشفى. كانت فقرة صغيرة جداً وكان يمكن ألا تلحظها على الإطلاق لو لم تكن تمشط الصحيفة بحثاً عن عمل.

منذ تركت منزل ميتلاندس مساء الأحد، رفض عقلها التفكير، فقد كانت تشعر بالخدر وهي تتوجه إلى شقة تيم وكأنها حيوان مصاب يقصد مكاناً يلعق فيه جراحه. وكان تيم رائعاً، فقد رحّب بها دون أن يسألها كم سيطول مكوثها عنده، فقد فهم حالتها العقلية من مظهرها المحزن.

كان خبر انهيار ديبوراه مفزعاً، أعاد إلى ذهنها التفكير المؤلم بمستقبلها غير المؤكد. ما الذي عجّل هذا الحدث ولماذا حدث؟ وزاد هذا في حدة وتألم مشاعرها على جايمس. وعندما عاد تيم إلى بيته ذلك المساء وجدها تبكي. دخل الشقة وهو يصفر ولكن ما إن رأى شهقاتها على الأريكة حتى جاء إليها يحملها بين ذراعيه ويهدهدها كأنها طفلة.

كم شعرت بالراحة وهي تخبره أخيراً بصوت صادق متلعثم كل شيء، منذ تطور حبها لجايمس وصولاً إلى اتهامات ديبوراه القاسية فطردها، ولم تحاول أن تختلق لنفسها المعاذير.

وعندما سكتت، سألها بهدوء: «ولكنك ما زلت تحبينه أليس كذلك؟»

انتصبت كارولين في جلستها وأشاحت بوجهها عنه وهي تمسح دموعها بمنديل ناولها إياه، ثم سألته بصوت يكشف تظاهرها الكاذب برباطة الجأش: «لا فائدة، أليس كذلك؟»

ـ ولكنك تحبينه؟

ـ آه، نعم، نعم. أظنني سأحبه على الدوام.

ـ حتى ولو كان يصدق ديبوراه، مع أنه يعرف ما هي عليه من سوء؟

سحبت كارولين نفساً مرتجفاً: «لدى ديبوراه قوة إقناع كبيرة، هذا إلى أن هناك.. الرسالة».

نهض تيم عن الأريكة وهو يقول: «آه، نعم، الرسالة. يبدو أنها دفعت له مبلغاً سخياً».

ـ جون موني؟

ـ ومن غيره؟

أومأ قائلاً: «حسناً، أنا مسرور لأنك أخبرتني. تعلمين أنني أقوم بكل ما أستطيعه لكي... حسناً، لأجعلك سعيدة».

أومأت كارولين برأسها: «نسيت.. في الصحيفة خبر عن تعرض ديبوراه لانهيار عصبي أدخلت على أثره إلى المستشفى».

أخذ تيم الصحيفة التي ناولته إياها: «ماذا؟ وماذا يعني هذا؟»

هزت كارولين كتفيها: «لا أدري، ولكنها لم تكن بصحة جيدة. لديها مشكلات في العمود الفقري».

ـ وهذا طبعاً بسبب الحادث، فالعمود الفقري حساس كثيراً.. كنت أفكر.. أتظنين أنها رتبت كل تلك الأمور؟ ذهابك إلى منزلهم وما تبعه.. قلت بنفسك إنك لم تتوقعي الفوز بالوظيفة لأنك رأيت هناك أخريات أكثر منك خبرة.

رفعت كارولين بصرها إليه فاغرة الفم:

ـ هذا صحيح... آه، يا تيم، أتراها نظمت كل شيء؟

ـ حسناً، ليس موني حتماً.

ـ ولِمَ لا؟ بإمكانها ذلك، ولكن... أن تستغل لورا بهذا الشكل؟ وهل يمكنها أن تقوم بعمل على هذه الدرجة من السفالة؟

هزّ تيم رأسه: «يبدو أنها عديمة الضمير كلياً».

ـ ولكن إلى أي حد؟ لكي تثير حولي الشكوك؟

ـ هذا من جهة ثم لتعذب زوجها.

هبت كارولين واقفة: «آه، رباه.. لا أستطيع تصديق هذا».

ـ ولماذا لا؟

ـ ولكنها لا تحبه؟

ـ لا.. ولكن من الواضح أنها امرأة تحب التملك وثمة أناس يقتلون لأقل من هذا.

ـ آه، يا تيم، إذا كان هذا صحيحاً.

ـ كانت خطة مدروسة، يبدو أنها عرفت بأمر عودتك إلى الوطن فحركت مشروعها.

ـ هذا... هذا مروّع.

سار تيم إلى المطبخ ثم أخذ يملأ إبريق الشاي بالماء: «عزيزتي، لو كنت مكانك لحاولت أن أنسى كل ذلك، لأنك لن تحققي شيئاً غير إطالة عذابك».

ـ بإمكاني أن أخبر جايمس بالحقيقة..

ـ وهل سيصدقك؟ ولماذا يصدقك؟ وافرضي أنه صدقك هذه المرة، فسيبدأ عاجلاً أم آجلاً بالتساؤل عن ذلك.

ـ آه، يا تيم... هذا ظلم.

قال تيم متفلسفاً: «الحياة كذلك غالباً، أنظري إليّ، فأنا أخلص لامرأة لا تكاد تشعر حتى بوجودي».

في الأسبوع التالي، قامت كارولين بثلاث مقابلات لوظائف جديدة، اثنتان منها في مدرسة ثانوية في منطقة لندن، والثالثة كانت العمل مربية لتوأمين في الثالثة عشرة من عمرهما كان والديهما سيمضيان عاماً في أفريقيا. أعجبها العمل الأخير لأنه سيبعدها عن إنكلترا... وعن جايمس، ولكن تيم لم يكن متحمساً له.

قال لها بهدوء: «لا يمكنك الهروب يا كارولين بل عليك أن تصلي إلى قناعة مع نفسك».

فهتفت كارولين: «أعلم هذا ولهذا أسافر».

قال لها بثبات: «لا، فأنت سترحلين لأنك خائفة من رؤيته مرة أخرى.

اعترفي بذلك يا كارولين وابقي في انكلترا، واجهي الأمر وتزوجيني فأنا أحبك وإن منحتني الفرصة فقد أسعدك».

هزت كارولين رأسها، علمت أنها تؤلمه ولكنها لم تستطع منع ذلك: «تيم، لا فائدة من ذلك، أعلم أن ما تقوله صحيح ولكنني جبانة. لا أستطيع أن أحتمل فكرة.. عدم رؤيته مرة أخرى أبداً، ألا تفهم هذا؟»

أومأ تيم الذي أحنى كتفيه: «لا بأس يا كارولين فلن أقول شيئاً آخر. ليست السنة زمناً طويلاً وقد تغيرين رأيك».

ابتسمت كارولين بحزن، لم يكن ثمة أمل في ذلك بعد كل تلك السنوات.

وكان الأسبوع التالي مفعماً بالنشاط، التسوّق لأجواء حارة والتلقيح وترتيبات السفر مع مخدومها الجديد. وكانت كارولين مسرورة لأن لديها عمل يشغلها عن التفكير في جايمس، وعصر ذات يوم عادت من التسوّق فوجدت تيم في الشقة مضطرباً وعندما سألته عما هناك أنكر أن ثمة شيئاً ما.

كان موعد الطائرة المسافرة إلى نيروبي في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة. بعد ظهر الخميس، وجدت كارولين نفسها في محطة «إمبانكمنت» التي كانت تبعد ياردات قليلة عن مبنى شركة بوث. ولكن دافعاً جنونياً أحضرها إلى هنا فرغم كل ما قالته لتيم، تلهفت لرؤية جايمس ولو من بعيد.

وما إن اقتربت من المبنى، حتى برزت سيارة ليموزين سوداء من شارع جانبي ووقفت أمام المبنى ثم خرج منها رجلان يرتديان الأسود كذلك. أدركت كارولين وهي ترتجف أن واحداً منهما هو جايمس. صعد الرجلان درجات المبنى أما السيارة فابتعدت. وقف بعد قليل جايمس في الخلف ليسمح للرجل الآخر بالدخول في الباب الدوار أولاً، وأثناء انتظاره، نظر حوله وعبر ساحة المحطة تقابلت عيناه بعيني كارولين.

مضت لحظة تسمّرت فيها في مكانها وراحت تحدّق إليه ثم أشاحت بوجهها وهي تشهق وحثت الخطى في الطريق الذي أقبلت منه. سمعته يناديها باسمها، فتجاهلته وهي تركض، ولكن كانت لديه ساقان أطول كما رأت،

لأنه وصل إليها بسهولة وأمسك بذراعها يوقفها. حدق إليها وكأنه لا يصدق عينيه، وإذ بادلته النظرات رأت مبلغ ما هو عليه من شحوب وإنهاك.

تمتم وهو يلهث: «كارولين، يا إلهي، أخبرني أنك في كينيا».

حركت كارولين شفتيها بصمت: «من هو؟»

- فرانكلاند، صديقك تيم فرانكلاند. يا إلهي، سأقتله.

حركت كارولين رأسها باضطراب، ولم تكد تشعر بالألم الذي يسببه ضغط أصابعه على ذراعها، ثم سألته متلعثمة: «ت.. تيم؟ هل رأيت تيم؟»

حملق جايمس فيها ثم هز رأسه بعدم تصديق:

- ألم يخبرك؟ آه، لا يمكننا الحديث هنا.

عادت إليها أحاسيسها جزئياً: «ليس هناك ما نتحدث عنه».

- تباً لك، أليس بيننا شيء؟.. حسناً، أما أنا فأقول العكس، تعالي معي.

اجتاز الشارع بخطوات واسعة وكان يجرّها خلفه:

- جايمس، دعني أذهب.

- لا.. بل ستأتين معي، علينا أن نصل إلى حل نهائي لكل أمورنا.

- ولكن.. ديبوراه.

وقف فجأة وهو يحملق فيها: «ديبوراه؟ أتعنين أنك لا تعلمين؟»

- لا أعلم ماذا؟

- ماتت ديبوراه يا كارولين، وقد دفنت أمس.

هتفت وهي تشعر بدوار مفاجئ: «ما.. ماذا؟ أنا لم أعلم..».

عاد جايمس يحدّق إليها عدة لحظات أخرى وكأنه لا يستطيع أن يبعد نظراته عنها، ثم عاد يتابع سيره جاراً إياها معه.

فقالت باحتجاج: «إلى... إلى أين نحن ذاهبان؟»

- إلى مكتبي حيث سنكون وحدنا.

- جايمس، لا فرق في ذلك كما تعلم.

توقف مرة أخرى: «ماذا تعنين؟ طبعاً هنالك فرق».

رفعت كارولين نظرها إلى المبنى الشاهق بجانبهما ثم هزت رأسها ببطء من جانب إلى آخر وقالت: أنت.. أنت لم تصدقني.

أطلق شتيمة عنيفة أجفل تشارلس الحارس لسماعها وكان يقف عند الباب ينظر إليهما بفضول. ثم تمتم هازاً رأسه: «ما هذا الذي تتحدثين عنه؟ اسمعي، دعينا ندخل، لا نريد أن نعرض نفسينا في مشهد هنا يستمتع برؤيته كل شخص».

تسمرت مكانها قائلة: «لا فائدة يا جايمس، فأنا مسافرة إلى نيروبي صباحاً».

ردّ عليها بغضب: «فلتذهب نيروبي إلى جهنم» ثم حملها بين ذراعيه ماراً بالحارس المذهول.

اتسعت عينا موظفة الاستقبال في الردهة وهي ترى رئيسها يحمل امرأة غريبة ويدخلها إلى المصعد، ثم يغلق الباب ويصعدان بمفردهما.

نظر إليها وهي تقاوم بين ذراعيه، وبدا تعبير غريب على وجهه فوضعها على قدميها ثم مال متكئاً على جدار المصعد، ينتظر الوصول إلى الطابق الأعلى. قالت وهي تسوّي ثيابها:

ـ ليس لك الحق في إحضاري إلى هنا، ما الذي سيظنه مستخدموك؟

تجاهل جايمس كلامها ولكن شفتيه توترتا في وجهه الشاحب، وما لبث المصعد أن وصل إلى الطابق الأعلى في لحظات.

أمسك جايمس بذراعها وأسرع بها مجتازاً الممر نحو مكتبه. ارتجفت كارولين وهي تتذكر آخر مرة جاءت فيها إلى هذا المبنى.

ولكن عليها عدم التفكير في ذلك وأن تتذكر ذلك المساء الأخير الهائل في منزله عندما كان جايمس يحمل رسالة موني بين يديه.

عندما دخلا إلى غرفة السكرتيرة، رفعت هذه بصرها إليهما بدهشة ولكنه لم يكد يلحظ وجودها. قالت: «إن أباك يريد أن يراك يا سيد جايمس».

فقال باقتضاب: «اتصلي به وأخبريه بأنني مشغول ثم لا أريد إزعاجاً مهما كان الأمر، هل فهمت؟»

ـ نعم يا سيد جايمس؟

رفعت المرأة حاجبيها فشعرت كارولين بالخوف، ماذا سيظن بها هؤلاء الناس... بهما معاً؟ ونظرت إلى جايمس ساخطة، ولكنه كان يفتح باب مكتبه فلم يبادلها النظر.

وعلى كل حال، عندما أصبحا في الداخل جذبت كارولين ذراعها من يده وأسرعت نحو النافذة لتضع فاصلاً بينهما فعليها أن تقف أمامه بحزم مهما كان قوله ولن تتراخى أمام سيطرة جاذبيته عليها.

أغلق جايمس الباب ثم استند إليه. وبدا عليه الرضا عدة لحظات وهو ينظر إليها مع أن ملامحه عابسة، إلا أن مشاعر مختلفة كانت تطل من عينيه. نظر إليها بإمعان فضاقت عيناه، ثم تنقلت نظراته بين وجهها المتوتر وصدرها الذي كان يعلو ويهبط تحت قميصها، إلى تنورتها البسيطة الطراز ثم ساقيها وقدميها في حذائهما الخفيف، ثم صعدت نظراته مرة أخرى لتستقرا على شفتيها المرتجفتين.

أخيراً سألها بصوت متوتر: «ما هذا الكلام عن نيروبي؟»

ـ أنا... لقد حصلت على وظيفة، و... سأسافر إلى هناك للعمل.

ابتعد جايمس عن الباب وهو يقول لاوياً شفتيه:

ـ إذن لم يكن فرانكلاند كاذباً كلياً.. موعد السفر فقط هو الذي أخطأ فيه. أم لعلك طلبت منه أن يكذب عليّ؟

عقدت كارولين شفتيها: «تيم؟ لا، لا بالتأكيد».

ـ ثم ألم يخبرك بأنني ذهبت إلى الشقة؟

ـ لا.

ولكنها تذكرت فجأة عندما عادت إلى الشقة بعد ظهر أحد الأيام فوجدت تيم في حالة غير عادية من الإضطراب، فعادت تقول: «أظنه افترض أنني لا أريد رؤيتك».

قال جايمس ساخراً ببرودة: «يا للحنان الأبوي».

ـ ولكن لماذا جئت إلى الشقة؟

ـ لأن ديبوراه كانت قد ماتت للتو.. شعرت بحاجة إليك يا كارولين. هل هذا شيء بعيد عن التصديق؟ كان المفروض أن أحضر إليك قبل ذلك، ولكن...

حبست أنفاسها: «تحضر إليّ؟»

ـ نعم، أحضر إليك. لماذا ذهلت بهذا الشكل؟ هل كان كل ما قلته لي هنا في هذه الغرفة كذباً بكذب؟ عندما قلت لي إنك تحبينني؟ وإنك ستهربين معي إذا طلبت منك ذلك؟

حدقت كارولين إليه فدمرت النظرة في عينيه كل التحصينات التي كانت تحاول إقامتها ضده، وقالت تعترف بضعف: «أنا... آه، تعلم أن ذلك لم يكن كذباً».

ـ كارولين.

وتقدم نحوها متأوهاً وضمها بين ذراعيه معانقاً إياها عناقاً عميقاً جعلها تدرك أنها كانت مجنونة لأنها تصورت أن بإمكانها أن تتركه نهائياً. فمهما فعل فهو يرغب فيها الآن.

همست تقول: «جايمس...».

قال وهو يرتجف: «أحبك.. أحبك. ماذا يمكنني أن أقول أكثر من ذلك؟ وماذا أفعل لأبرهن لك؟»

وجدت كارولين من الصعب عليها التحدث بشكل مترابط، فصرخت: «ولكن.. ولكن الرسالة...».

فقطب جبينه: «رسالة موني؟ ما شأنها؟»

عضّت شفتها: «أنا... هل.. هل قرأتها؟»

ـ نعم، قرأتها. ولِمَ لا؟ إنها لم تكن تعني لك شيئاً، أليس كذلك؟

ـ جايمس، لم أعلم قط أن هناك رسالة.

ـ أعلم هذا، ولهذا قرأتها. أردت أن أرى إلى أيّ مدى كانت ديبوراه تريد أن تصل.

فحدقت كارولين إليه: «ديبوراه؟ هل تعني.. هل تعني أنك لم

تصدقها؟»

أظلمت عيناه: «وهل ظننت أنني صدقتها؟»

شعرت كارولين بشهقة باكية تكاد تخنقها: «نعم، آه، نعم، وماذا غير ذلك كنت سأصدق؟ فأنت تركتني أذهب...».

أخذ يمرر بيده على شعرها برقة وهو يسألها بذهن غائب: «وهل كنت تريدين أن تبقي؟ كارولين، فلنوضح أولاً الأمر... تظنين أنني صدقت ما قالته ديبوراه عن معرفتك بموتي قبل حضورك إلى بيتنا، أليس كذلك؟»

ـ أنا... نعم.

ـ ولكنك قبل ذلك أخبرتني أن هذا ليس صحيحاً؟

اغرورقت عينا كارولين بالدموع: «أعرف ذلك ولكنك.. جلست هناك والرسالة في يدك».

ـ كنت مذهولاً، نعم، كنت مذهولاً لأن ديبوراه وصلت في مؤامراتها إلى هذا الحدّ... حينذاك، لم يكن لديّ فكرة عن المدى الذي ذهبت إليه. ولسوء حظها، ثبت أن مهارتها هذه كانت ضد مصلحتها.

ـ ماذا تعني وكيف؟

أمسك جايمس بوجهها بين راحتيه: هل تحبينني؟

ـ آه، تعلم أنني أحبك.

اجتذب نفساً عميقاً وقال بصوت أجش:

ـ علينا أن نتحدث، فهمت أنك لم تعرفي شيئاً عن مرض ديبوراه.

قالت له بهدوء: «قرأت أنها أصيبت بانهيار وأخذت إلى المستشفى».

ـ ولكنك لم تفكري في الاتصال بي تليفونياً لتعرفي ماذا جرى؟

ـ وكيف أفعل ذلك؟ تعرف ما كنت أظنه.

أومأ جايمس قائلاً: «هذا صحيح، بعد خروجك، ولكن أنا مسرور جداً لهذا، لأنني لم أكن أريدك في ذلك المنزل بعدما كشفت ديبوراه عن مدى ما يمكن أن تصل إليه من عدم اتزان... بعد خروجك هربت لورا من البيت».

انتفضت كارولين: «آه، لا وهل هي بخير؟»

أجاب بهدوء: «إنها بخير الآن. في تلك الليلة أصابني الذعر لأجل سلامتها. ولكن بدرجة أقل مما شعرت به لأجلك. لماذا لم تدعي غروم يقلّك إلى مقصدك؟ تلقى مني أوامر بأن يعود ليخبرني. ولكن كل ما استطاع قوله هو أنه وضعك في محطة القطار بناءً على طلبك».

هزّت كارولين رأسها: «ليتني كنت أعلم..».

ـ حسناً، على كل حال، شغل بالي اختفاء لورا، ثم بعد ذلك انهيار ديبوراه. لقد كان لديها ورم سرطاني في عمودها الفقري. وكانت تعاني من الآلام منذ أسابيع كما قال الأطباء، ولكنها رفضت السماح لهم بأن يخبروني.

ـ آه يا جايمس.

ـ نعم، أظن ذلك ما أدار عقلها. أظنها علمت بأمرنا من السيدة فروبيشر التي تحب الأقاويل أكثر من أي شيء آخر. إنما لا أظنها كوّنت خطتها إلا بعدما علمت بأنها على وشك الموت.

نظرت كارولين إليه بعجز: «آه... ما أشدّ أسفي».

هزّ جايمس كتفيه: «وأنا أيضاً، ولكن لم يكن هناك ما أستطيع القيام به. ولأمر ما، قررت أن تجعلني أتألم وكنت أنت كبش الضحية».

ـ هل تعلم أنت ما كانت تعرفه؟

ـ آه، نعم. فقد استنتجت ذلك أثناء وجودها في المستشفى، ولكن بعد وفاتها ذهبت لرؤية موني وسمعت منه الحقيقة بأجمعها. كان الأمر كله عبارة عن خطة موضوعة لكي أقتنع بإخراج لورا من المدرسة، وبهذا يمكنها إحضارك إلى البيت.

ـ ولكن لورا أصيبت بالتهاب رئوي.

ـ كان ذلك مجرد صدفة.. نوعاً من الحظ صادف لورا إلى النهاية، كدت أخنق موني وهو يقف هناك يخبرني أنه قام بكل ذلك في سبيل المال، ولكنني أدركت أن الوعد بمبلغ كبير هو إغراء كبير لرجل مثله. وعلى كل حال، لم تكن لديه فكرة حقيقية عما ستسببه من آلام. أظن فعلاً أنه يكنّ مودة للورا ولم يكن يريد أن يضرها بشيء، ولكن ما إن ابتدأ طريقه... حتى أرغمته ديبوراه

على الاستمرار.

ـ و.. وأنا؟

ـ حسناً، تعلم أنك فتاة جميلة فقد أخبرتها آيرين فروبيشر بذلك. وتكهنت بأن موني لن يجد صعوبة في نقل اهتمامه من تلميذة غير ناضجة إلى شابة جميلة. ولو لمسك لقتلته. بعد رحيلك تلك الليلة، دار بيننا شجار مريع. أدركت أنني لم أصدق أكاذيبها، وبعد ذلك جاء اختفاء لورا... فكان ذلك أكثر مما تستطيع احتماله. فانهارت في الصباح التالي عندما أخبروها بأنهم عثروا على لورا».

ـ إذن.. تحب ابنتها؟

ـ ربما، إنما بمفهومها الخاص. ولكنها كانت على استعداد تام لاستغلالها إلى نهاية خططها، وعندما تعلم لورا هذا فسيصعب عليها كثيراً أن تغفر لها ذلك.

سألته: «إلى أين ذهبت لورا؟»

ـ لم تذهب بعيداً. لقد عثر عليها رجال الشرطة على بعد خمسة أميال نائمة في أحد الحقول، كانت تعاني من الإرهاق ومن التعرض لبرودة الجو، وعدا ذلك فهي سالمة لم يصبها ضرر.

ـ الحمد لله لذلك.

ـ وكذلك حمدته أنا، صدقيني. ولكن ديبوراه أصيبت بالانهيار فأسرعنا بها إلى المستشفى، وبقيت أياماً بجانبها لم أكد أتركها.

ـ آه يا جايمس.

ـ بدت عند ذاك بحاجة إليّ. لقد بقيت سنوات لا تحتاج إلى أحد، ولكنني أظنها ندمت على ما فعلته. وعلى كل حال، فقد ماتت بهدوء تام وكنت أنا بجانبها.

ازدردت كارولين ريقها ثم قالت: «هل حدث ذلك عندما جئت تبحث عني؟»

ـ نعم، هل يبدو لك ذلك أمراً كريهاً؟ لا ينبغي لك هذا. فشفقتي على

ديبوراه لم تغيّر قط من حبي لك.

ـ لا أدري ماذا أقول يا جايمس.

ـ قولي إنك لن تستلمي تلك الوظيفة في نيروبي، قولي إنك ستبقين معي، وبعد مرور فترة معقولة تصبحين زوجتي.

فضمّت شفتيها بشدّة:

ـ آه، يا جايمس! أريد أن أتزوجك. أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر في العالم.

أمسك وجهها بين راحتيه: «حسناً، لماذا أنت قلقة إذن؟»

ـ أنا... لورا، أين هي لورا؟

ـ تعيش مع جديها حالياً، والمنزل معروض للبيع. أريد أن أشتري منزلاً آخر حوله أراضٍ ملحقة به. هل يعجبك ذلك؟

فتنهدت: «آه، نعم، نعم. ولكن، جايمس، ماذا بشأن لورا؟»

ـ ستعيش معنا بالتأكيد هذا إن لم يكن لديك اعتراض.

أبدت كارولين إشارة تنم عن العجز: «يا حبيبي، ليس لديّ اعتراض ولكن هل لدى لورا أي اعتراض؟»

فقال وهو يلامس شفتيها بإبهامه: «آه، فهمت! تخافين ألا تقبل بك لورا».

ـ لقد أثارها ما عرفته عني وعنك.

ـ أعلم هذا. ولكن لورا فتاة تكاد تكون امرأة، وهي تدرك أن الرجل بحاجة إلى زوجة.. زوجة حقيقية.

ترددت كارولين: «جايمس، لماذا لا أستلم هذه الوظيفة؟ انتظر.. استمع إليّ. مرّت لورا بتجربة عاصفة، أفلا ترى أنها ستكون فكرة جيدة لو أنكما، أنت وهي، قمتما بعطلة.. معاً؟ أنتما الاثنان فقط. أما أنا فأعمل بهذه الوظيفة عدة أشهر، وفي الوقت نفسه لا أخذل آل بارستو».

ـ كارولين! هل تعرفين ما تطلبينه مني؟

ـ أعرف ما أطلبه من نفسي يا جايمس. حبيبي، لا تظن أنني سأتركك

وأنت تعلم هذا. ولكن سيكون أمامنا الكثير... ألا ترى؟ فلو أمضيت هذا الوقت مع لورا وحدك فستكون نقطة تحوّل في حياتنا جميعاً.

حدق جايمس إليها وقد نضحت عيناه بالمشاعر العنيفة: «كل ما أريده هو أن تدرك لورا قيمة زوجة الأب التي ستحصل عليها. كارولين، لشدّ ما أحبك! وإذا كان هذا ما تريدينه.. فسأفعله. ولكن فيما بعد... سنعوض عن ذلك بالزمن الطويل الذي سنمضيه معاً..».

* * *

بعد ذلك بعام، دخلت فارسة شابة إلى اسطبلات منزل فخم، فترجلت عن ظهر الحصان وألقت باللجام إلى غلام الإسطبل الضاحك الوجه. ثم سارت نحو المنزل باعتداد، فنادت السيدة إيڤانز مدبرة المنزل وهي تدخل إلى الردهة.

برزت هذه السيدة من المطبخ وهي تجفف يديها بمئزرها. إنها امرأة صغيرة الحجم وردية الوجنتين لم تفلح بدانتها في إخفاء طبعها الودود الأنيس.

قالت الفتاة بابتهاج: «لقد وصلا سيدة إيڤانز».

أشرق وجه مدبرة المنزل، وهتفت: «آه، يا آنسة لورا. أين رأيتهما؟»

ـ ذهبت على الحصان فرأيت السيارة تدخل بوابة الحديقة الكبرى. آه، يا سيدة إيڤانز، هل يبدو مظهري حسناً؟

نظرت المرأة إلى الفتاة بحنان: «فليباركك الله، فأنت الآن صورة للعافية، كما أن وزنك ازداد قليلاً أيضاً. انتظري حتى يراك أبوك لأنه سيكون راضياً للغاية».

سارت لورا إلى النافذة الواسعة بقلق، وفتحتها على مصراعيها: «يا سيدة إيڤانز، ها هي السيارة».

ابتسمت مدبرة المنزل: هيا اذهبي وافتحي الباب، فهما لا يريدان أن يراني أنا.. ليس الآن على كل حال.

فتحت لورا الباب في الوقت الذي كان غروم يوقف فيه السيارة في

الخارج، ورأت أباها وكارولين في المقعد الخلفي، ثم رأت أباها يفتح الباب ويخرج قادماً نحوها وهو يبتسم.

ـ آه، أبي!

ألقت لورا نفسها بين ذراعيه وهي سعيدة لما رأت على وجهه من عافية. لقد اعتادت رؤية خطوط الإرهاق في وجهه ولكنه الآن يبدو أصغر من سنه بسنوات، وقد صبغت شمس «برمودا» بشرته، كما بدا بوضوح أن زواجه بكارولين يلائمه كثيراً. شعرت بوخزة مؤقتة من الحسد اغتفرتها لنفسها.

ارتدّ خطوة ينظر إليها وهو يقول: «كيف حالك يا حبيبتي؟ هل رعتك السيدة إيڤانز جيداً؟»

مسحت لورا دموعاً تدفقت من عينيها:

ـ أنا بأحسن حال يا أبي.

ثم، بشوق لا إرادي، تحولت ترحب بزوجة أبيها التي ترجلت من السيارة بشيء من الخجل. بدت كارولين بصحة جيدة أيضاً وبصرف النظر عن بعض التوتر بدت سعيدة للغاية. سارت لورا نحوها وهي تقول:

ـ مرحباً بك في بيتك.. كارولين.

أدركت كارولين أن الفتاة كانت تماثلها توتراً فقالت لها: «ما أجمل العودة إلى البيت يا لورا».

ثم عانقتها كما عانقها أبوها من قبل.

تأثرت بردة فعل الفتاة الفوري، لأن الفتاة عانقتها أيضاً بنفس اللهفة التي عانقت بها أباها، وإذا بكارولين تجد نفسها تبكي. ومن فوق رأس لورا رأت ابتسامة جايمس فعلمت أن كل شيء سيكون على ما يرام.

***

LOVE_Shades
liilas.com/vb3